

أكاديمية الدين الخالص
ممباسا - كينيا
DEEN KHAALIS ACADEMY
MOMBASA - KENYA

السيرة

للصف الثالث المتوسط



المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية
وكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية
الإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج

الخلفاء الراشدون والدولة الأموية

[redacted]

يوزع مجاناً ولا يباع

١٤٣٢/١٤٣١ هـ

طبعة خاصة بالجامعة الإسلامية بإذن من جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر.
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
الخلفاء الراشدون والدولة الأموية / جامعة الإمام
محمد بن سعود الإسلامية - الرياض ١٤٢٤هـ
١٩٢ص ٢١,٥ × ٢٧سم .
ردمك : ٧ - ٤٤٦ - ٠٤ - ٩٩٦٠
١ - الخلفاء الراشدون - تاريخ - كتب دراسية
٢ - الدولة الأموية - تاريخ - كتب دراسية.
٣ - التعليم المتوسط - السعودية - كتب إرشادية.
أ - العنوان
ديوي ٥٥٣,٠٠٠٧٦٣ ١٤٢٤/٣٩٣
رقم الإيداع : ١٤٢٤/٣٩٣
ردمك : ٧ - ٤٤٦ - ٠٤ - ٩٩٦٠

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.

أما بعد : فإن الجانب الاجتماعي في الإسلام جانب مشرق بمعاني الود والإخاء والرحمة والتعاون، تلك المعاني التي تنمو في ظلها الشخصية المتكاملة في مجتمع يقيم دعائم الحضارة الإنسانية على أساس وطيد من فطرة الإنسان ويحقق رغباته المختلفة ومتطلبات الحياة الفاضلة لسعادة البشرية.

وكثيراً ما يذكر الله سبحانه وتعالى في محكم كتابه عوالمَ خَلْقِه في السماء والأرض وما جرت عليه سننه في تصريف شؤونها وتدبير أمورها ويحث عباده على السير في الأرض والاعتبار بأُممها ومصير السابقين من المؤمنين والجاحدين.

ويقص القرآن علينا أحوال الماضين تذكرة وعبرة، قال تعالى:

﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف : ١١١]

دراسة التاريخ تسلك هذا المسلك الذي وجّه الإسلام إليه أبناءَه لتربية أنفسهم وبناء مجتمعهم. فدراسة هذه المادة عامل أساس في نضج النشء وتحقيق القدوة الحسنة لهم.

ولذا كان تدريس التاريخ في المعاهد العلمية. وقد كان نصيب السنة الثانية المتوسطة في المعاهد العلمية. دراسة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية في حصتين في الأسبوع لتحقيق الأهداف الآتية:

١ - الإسهام في إعداد ناشئة الأُمة للحياة إعدادًا سويًا متكاملاً يشمل الجوانب الروحية والاجتماعية والوجدانية والعقلية.

٢ - تنشئة الإنسان الصالح لكي يعيش في مجتمع إسلامي ملتزمًا بآداب الإسلام وتعاليمه وقيمه.

٣ - تبصير الطلاب بما لوطنهم وأمتهم من أمجاد إسلامية تليدة وحضارة عالمية إنسانية

عريقة ومزايا طبيعية واقتصادية واستراتيجية؛ ليجند الطلاب أنفسهم في خدمة دينهم ووطنهم الإِسلامي.

٤ - تمكين الطلاب من إدراك الغايات والأهداف الإِسلامية التي تنمي فيهم العواطف النبيلة نحو إِخوانهم في الإِسلام وأُمتهم المسلمة وتدفعهم إلى الاعتزاز بأمجاد الإِسلام.

٥ - الاستفادة من الأحداث التاريخية وغيرها للأخذ بأسباب رقي الأُمم وتقدمها واجتناب عوامل انحطاطها وتصدعها.

٦ - تنمية قدرات الطلاب على ربط الأسباب بالنتائج وعلى التفكير العلمي المبني على تقصي الحقائق والحوادث وإجراء المقارنات.

ولتحقيق تلك الأهداف يحسن الأخذ بتوجيهات طرق تدريس المادة الآتية:

١ - تنفيذ المنهج المقرر وفق التوجيهات الفنية وما جاءَ في المنهج والكتاب المدرسي والتوزيع المعتمد.

٢ - الاهتمام بتحضير مادة الدرس مهما بلغت درجة المدرس العلمية وخبرته في التدريس.

٣ - التمهيد للدرس بمقدمة مشوِّقة أو بأمثلة من البيئة.

٤ - التنويع في طرائق التدريس وأساليبه وألا يتقيد بطريقة واحدة طيلة الدرس أو خلال السنة حتى لا يمل الطالب.

٥ - استخدام وسائل الإيضاح والأطالس التاريخية أو أية نماذج أُخرى من البيئة وربطها بالدرس مباشرة.

٦ - تنظيم السبورة شرط أساس لنجاح استخدامها، ومن ثم نجاح عملية التعليم.

٧ - التطبيق في نهاية كل حصة؛ حتى يقف المدرس على مدى ما حققه في درسه.

٨ - استثمار النشاط المدرسي يساعد في تثبيت المعلومات عمليًا، وتوضيح الغامض منها، وتنمية شخصيات الطلاب، وشغل ويشغل وقت فراغهم في أُمور نافعة، وحثهم على بذل المجهود الذاتي.

٩ - أن يراعي المدرس عند شرح الدرس ما يأتي:

(أ) عدم التسرع في الشرح وعدم الانتقال من فقرة إلى أُخرى قبل التثبت من فهم الفقرة الأُولى لأن إعادة شرح المادة يسبب الملل ويبعث على الخمول.

(ب) الإكثار من الأسئلة القصيرة ذات الإجابات المحددة ومراعاة توزيعها على الطلاب توزيعًا عادلاً وملائمًا.

(جـ) الحرص على نطق الكلمات والأسماء العربية والأجنبية - إن وجدت - نطقًا سليمًا.

(د) الربط بين المواد كلما سنحت الفرصة، والاهتمام بالناحية الحضارية في التاريخ والعناية بالحس الزمني والمكاني عامة.

(هـ) ربط المعلومات بالحياة العامة في مختلف مجالاتها؛ لكي يحس الطلاب بفائدتها العملية في حياتهم اليومية.

والإدارة العامة لتطوير الخطط والمناهج بوكالة الجامعة لشؤون المعاهد العلمية. إذ تقدم لكم هذا الكتاب المقرر لتأمل التعاون معها بإرسال ما تجدونه من ملحوظات تسهم في رفع كفايته وتحقيق أهدافه، كما تقدم لكم الشكر مسبقاً على ذلك.

الإدارة العامة لتطوير المخطط والمناهج

توزيع منهج ا[redacted]

الأسبوع	الموضوعـــــات	ملحوظات
الأول	فـضل الصـحــابة رضي الله عنهم وواجـبنا نحــوهم أبـو بـكر الصـديق رضي الله عنه ـ حـيـاته قـبل الخـلافـة: نسـبـه وفـضله. إسـلامـه، جـهـاده في حـيـاةالرسـول ﷺ	
الثاني	خــــلافـــــة أبـي بـكـر الـصــــديق رضي الله عنه : بيـعــتــه ، ســيــاســتــه، إنفـاد جـيش اسـامـة حـــركـــــة الـردة ومـــــوقـف أبـي بـكر مـنـهـــا .	
الثالث	الفـــتـوح الإسـلامـــيـــة في عـــهــد أبي بكر رضي الله عنه، عالمية الدعوة الإسلامية. توجيه المسلمين لفتح بلاد الفرس والروم	
الرابع	مــوقـعـــة الـيـرمــوك، جـــمـــع القـــرآن الــكريم، مــرض أبي بكر ووفاته.	أسئلة وتطبيقات
الخامس	عــمــر بن الخطاب رضي الله عنه . حــيــاته قــبل الخــلافــة: إسلامه ، صحبته، العهد له بالخلافة.	
السادس	الفـــتـوح الإســـلامـــيـــة في عـــهــد عــمـــر : فتح العراق وبلاد الفرس، موقعة القادسية.	
السابع	فـــتـح المدائن، مـــــوقـــعــــة نهـــاونـد، أثر الفتح الإسلامي في بلاد الفرس	
الثامن	فــتح الشــام ومــا حــولهــا، فــتح بيت المقــدس، فتح مصر ، أثر الفتح الإسلامي على مصر	اختبار

ملحوظات	الموضوعـــــات	الأسبوع
أسئلة وتطبيقات	أهم إصلاحات عمر رضي الله عنه: بناء المدن، التأريخ الهجري. استشهاد عمر رضي الله عنه	التاسع
	عثمان بن عفان رضي الله عنه، حياته قبل الخلافة: نسبه، نشأته، إسلامه، أثره في نصرة الإسلام البيعة له بالخلافة.	العاشر
	أهم أعمال عثمان رضي الله عنه: جمع المسلمين في قراءة القرآن، امتداد الفتوح في عهده، ملامح المجتمع الإسلامي في عهده. الفتنة في عهده، دور عبدالله بن سبأ اليهودي	الحادي عشر
أسئلة وتطبيقات	استشهاد عثمان رضي الله عنه. علي بن أبي طالب رضي الله عنه، حياته قبل الخلافة: نسبه، نشأته إسلامه، صحبته للنبي ﷺ بلاؤه في الإسلام، البيعة له بالخلافة.	الثاني عشر
	أهم الأحداث في عهد علي رضي الله عنه وموقفه منها: معركة الجمل، موقعة صفين.	الثالث عشر
أسئلة وتطبيقات	بين علي رضي الله عنه والخوارج، موقعة النهروان. استشهاد علي رضي الله عنه.	الرابع عشر
	مراجعة عامة.	الخامس عشر

فضل الصحابة رضي الله عنهم وواجبنا نحوهم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على عبده ورسوله محمد الأمين، وعلى آله وصحبه ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين أما بعد:

فقبل دراسة تاريخ خلفاء رسول الله ﷺ الراشدين، وقادة المؤمنين وأصحاب رسول رب العالمين، وكذلك تاريخ الدولة الإسلامية الأموية، ذات الفتوحات الجليلة والأعمال العظيمة. يجب أن نعرف فضل الصحابة رضوان الله عليهم وواجبنا نحوهم.

فما واجبنا نحو صحابة رسول الله ﷺ؟

إن واجبنا نحوهم هو - كما قرره علماء أهل السنة والجماعة - أن نحبهم ونحترمهم ونحسن الظن بهم. فهم تلامذة مدرسة النبوة، وحفظة كتاب الله عز وجل، والمجاهدون في سبيل الله؛ حتى نكون من الذين قال الله فيهم :

﴿ وَالَّذِينَ جَاءُو مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ ﴾ [الحشر : ١٠]

فهم الذين سبقونا بالإيمان والجهاد، ونصرة رسول الله ﷺ فرضي الله عنهم وأرضاهم. هم الذين قال فيهم نبينا محمد ﷺ في الحديث الصحيح: (لا تسبُّوا أصحابي فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهباً ما بلغ مد أحدهم ولا نصيفه). وقد مدحهم الله تعالى في كتابه الكريم كثيراً مثل قوله سبحانه:

﴿ وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ ﴾[التوبة : ١٠٠].

فصحابة رسول الله ﷺ كلهم عدول ثقاة مؤمنون صالحون؛ وأهل السنة يَشُكُّون في كل

خبر يروى في مساوىء الصحابة، وقد يَعدُّونه من أكاذيب ودسائس اليهود والمجوس وأتباعهم من المنافقين والجهال. مع أن الصحابة (رضوان الله عليهم) ليسوا معصومين عن الذنوب والمعاصي؛ ولكنهم أبعد الناس عن الإثم وأقربهم إلى التوبة ولهم من الجهاد والبذل والتضحية مع رسول الله ﷺ وجلائل الأعمال والعبادات ما يمحو - إن شاء الله - كل ما قد يصدر منهم. وهم قد يخطئون (رضى الله عنهم) في الاجتهاد بنية حسنة لمصلحة الأمة ودينها؛ فيكون للمصيب منهم أجران وللمخطىء أجر واحد. لقد كانوا (رضي الله عنهم) غُرة في جبين الزمان، ونوراً أضاء سطور التاريخ، مما جعلهم موضع حب الأمة وتقديرها، لكن قد يسأل سائل فيقول: لماذا إذن حَدَثَتْ بينهم (رضي الله عنهم) فتن وحروب، وقُتِل ثلاثة من الخلفاء الراشدين، وتحارب بعضهم على الحكم والسلطان؟

فنقول وبالله التوفيق: إن قَتْل الخلفاء الثلاثة: عمر، وعثمان، وعلي (رضي الله عنهم وأرضاهم ورحمهم) إنما كان بتخطيط من أعداء الإسلام الحاقدين عليه من اليهود والمجوس، والمنافقين، الذين محىٰ الإسلام باطلهم وكفرهم، وقد قُتلوا شهداء ـ إن شاء الله تعالى ـ وأما الخلاف والحروب فكانت اجتهادات منهم أرادوا بها وجه الله لا الحكم والسلطان ولكن منهم من أصاب فله أجران ومنهم من أخطأ فله أجر واحد كما قدَّمنا، وسيأتي - إن شاء الله - تفصيل هذه الاجتهادات والأحداث في مكانها من الكتاب حتى يظهر الحق ويتضح فضل الصحابة الكرام رضى الله عنهم وأرضاهم والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

أبو بكر الصديق رضي الله عنه
١١هـ - ١٣هـ

حياته قبل الخلافة:

نسبه وفضله :

هو عبد الله بن عثمان التيمي القرشي، ولد بعد مولد الرسول ﷺ بعامين اثنين. وكان يُسَمَّى في الجاهلية عبد الكعبة أو عبد العُزَّى. ثم أصبح في الإسلام يُسَمَّى عبد الله بن عثمان. وعثمان هو والده المعروف بأبي قحافة.

وقد كُنِّي في الإسلام بأبى بكر لتبكيره ومبادرته إلى قبول الدعوة إذْ كان أول من أسلم من الرجال. كما وصف في الإسلام بالصدِّيق لأنه صَدَّق رسول الله ﷺ في حادث الإسراء والمعراج، كما كان دائم التصديق له في جميع أقواله وأفعاله.

وعُرِف أبو بكر رضي الله عنه في الجاهلية بالعتيق - لجمال وجهه - من العتاقة وهي الجودة في كل شيء، ثم عُرف في الإسلام بالعتيق لأنه أول رجل بشَّره الرسول ﷺ بالعتق من النار ويَرْوُون في ذلك: أن الرسول ﷺ صلىَّ الصبح ذات يوم، فلما قضى صلاته سأل: أيُكمُ أصبح اليوم صائماً؟ فقال أبو بكر: أنا يا رسول الله، بت الليلة وأنا أحدِّث نفسي بالصيام فأصبحت صائماً.. ثم سأل النبي ﷺ: أيّكُم عاد اليوم مريضاً؟ فقال عمر: إنما صلينا الصبح الآن ولم نبرح فكيف نعود المرضى؟ وأجاب أبو بكر: أنا يا رسول الله، أخبروني أن أخي عبد الرحمن بن عوف مريض فمررت به وسألت عنه وأنا في طريقي إلى المسجد... ثم سأل النبيُّ ﷺ: فأيكُم تصدَّق اليوم بصدقه؟ فقال عمر: يا رسول الله ما برحنا معك منذ صلّينا فكيف نتصدّق؟ وأجاب أبو بكر: أنا يا رسول الله، دخلت المسجد فإذا سائل يسأل. وكانت كِسرةُ خبز مع ولد لعبد الرحمن بن أبي بكر فأخذتها فأعطيتها للسائل.. فقال النبي ﷺ ووجهه يبرق من السرور - يا أبا بكر أبشر بالجنة، أبشر بالجنة.. وبذلك كان أول من بشره الرسول ﷺ بالعتق من النار.

وهكذا يظهر فضل أبي بكر رضي الله عنه وسبقه إلى الخير والبر، وفي ذلك يقول عمر بن الخطاب رضي الله عنه: ما سابقتُ أبا بكر إلى خير قط إلا سبقني إليه. ويقول علي بن أبي طالب رضي الله عنه: هو السَّبَّاق، والذي نفسي بيده ما استبقنا إلى خير قط إلا سبقنا إليه أبو بكر.

وقد نشأ أبو بكر رضي الله عنه في ظلال النعمة واليسار، وكان بزَّازاً يتاجر في الثياب. وقد جمع من تجارته أموالاً طائلة كانت عُدَّته في الجهاد بعد إسلامه إذْ أنفق الكثير منها إعلاء لكلمة الدين وإرضاء لله ورسوله.

والمعروف أنه ولد في مكة بعد عام الفيل بعامين على وجه التقريب[1]. فكان مُقارباً للرسول ﷺ في سِّنه. وكان - مع ذلك - أقرب من غيره إلى الرسول ﷺ في أخلاقه وصفاته، فلقد اشتهر بالخلق الكريم منذ نعومة أظفاره، وكان منذ نشأته يحتقر الأصنام ويستخفُّ بعقول من يقدسونها ويعبدونها. كما أنه لم يشرب خمراً قط، وقد سئل: لم كان يتجنبها في الجاهلية؟ فقال: كنتُ أصون عرضي وأحفظ مروءتي، فإن من شرب الخمر كان مضيَّعاً في عقله ومروءته، وكان رضي الله عنه أليفاً ودوداً حسن المعاشرة، وكان مطبوعاً على التواضع ولين الجانب فلم يتعالَ على أحد قط لا في جاهليته ولا في إسلامه. فإذا مدحه مادح زاده ذلك تواضعاً، وقال: اللهم إنك أعلمُ مني بنفسي.

إسلامه رضي الله عنه:

يذكر الرواة أن أبا بكر رضي الله عنه كان أول من أسلم من الرجال، وقد جاء في حديث صحيح أن النبي ﷺ قال: «ما دعوتُ أحداً إلى الإسلام إلا كانت له كَبْوَةٌ خلا أبا بكر» ومعنى ذلك أن إسلامه كان عن عقل ورويَّة ونقاء في السريرة والطويَّة.. ومما يؤكد لنا أن عقله وبصيرته كانا هما الهاديين له إلى الحق موقفُهُ من الأصنام لأول مرة يراها، فلقد رُوي عن أبي بكر رضي الله عنه أنه قال: لما ناهزت الحُلُم[2] أخذني أبي (أبو قحافة) بيدي. فانطلق بي إلى مكان توجد فيه الأصنام فقال: يا بُنى، هذه آلهتك الشُّمَ العوالي، وخلاّني عندها وذهب، فدنوتُ من الصنم وقلت: إني جائع فأطعمني، فلم يجبُني، فقلت: إني عارٍ فاكسُني: فلم يجبني، فألقيتُ عليه صخرة فخرَّ على وجهه.

---

(١) عام الفيل يوافق سنة ٥٧١ م.

(٢) ناهزتُ الحلم أي قاربتُ البلوغ.

نبذة عن جهاده رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في حياة الرسول ﷺ :

قد احتمل أبو بكر رضي الله عنه بعد إسلامه من المشركين أذى كثيراً، ولقي من المتاعب الصعبة ألواناً قاسية، فما وَهَنَ لما أصَابه في سبيل الله وما ضعف وما استكان، وحسبُنَا ما أصابه من عتبة بن ربيعة حينما نشبت المعركة بين المسلمين والمشركين في أول عهدهم بالإسلام في مكة.. فلقد تصدَّى له عتبة يضربه حتى تورَّم وجهه وخفيت على الناظرين إليه معالم وجهه.. ووصل النبأ إلى أهله من بني تيم فأقبلوا مسرعين حتى أجْلَوا عنه المشركين ثم حملوه في ثوبه إلى بيته وما يَشُكُّون في موته، وصاح منهم جماعة: والله لئن مات أبو بكر لنقتلنَّ عتبة. ثم أحاطوا به يكلِّمونه حتى أفاق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فكانت أولى كلماته: أخبروني ما فعل رسول الله ﷺ؟ فلاموه وعنَّفُوه، وسألوا أُمَّه أن تطعمه أو تسقيه شيئاً يردُّ إليه نفسه.. فأبى أن يأكل أو يشرب حتى يعلم ما فعل رسول الله ﷺ. فلمَّا علم أنه في دار الأرقم بن أبي الأرقم أحبَّ أن يذهب إليه، وكأنما أحسَّ من أمه ممانعة في خروجه وهو بتلك الحال حتى يتبلَّغ بشيء من الطعام أو الشراب، فأقسم لا يذوقنَّ طعاماً ولا شراباً حتى يرى رسول الله ﷺ، ثم خرج يَتَّكِىء على أمه وصاحبة لها ولا يقدر على حمل نفسه حتى دخل على الرسول ﷺ وهو في تلك الحالة الأليمة. فرقَّ له الرسول ﷺ رقةً شديدة وانكبَّ عليه يُقبِّله، فطلب أبو بكر من الرسول ﷺ أن يدعو أمَّهُ إلى الإسلام حتى يستنقذها الله به من النار.

هذه صورة واحدة من صور كثيرة مرت على أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أو مرَّ هو بها فكانت تلك الصور امتحاناً قاسياً لإيمان أبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وإخلاصه، وضَرَبَ أبو بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في ذلك أروع الأمثال.

وكما كتب الله لأبي بكر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن يكون مع الرسول ﷺ ثاني اثنين في الإسلام، فقد كتب له أن يكون ثاني اثنين في غار ثور، وأن يكون ثاني اثنين في العريش الذي نُصب للرسول ﷺ في يوم بدر، وأن يكون ثاني اثنين في كل معركة وقعت بين الرسول ﷺ والمشركين... وأن يكون أقرب صاحب إلى الرسول ﷺ في سرِّه وجهره وفي شدته ورخائه وفي شؤون نفسه وشؤون المسلمين.

خلافة أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

بيعته رضي الله عنه بالخلافة :

حينما توفي رسول الله ﷺ وأصيب الناس بالفزع من جراء تلك الصدمة العنيفة وقف أبو بكر رضي الله عنه يعلن على الناس في إيمان عميق وفاة الرسول ﷺ قائلاً: (أيها الناس، من كان يعبد محمداً فإن محمداً قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حيٌّ لا يموت)، ثم تلا على الناس قول الله تعالى لرسوله ﷺ :

﴿ إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ ﴾ [الزمر : ٣٠].

وقوله سبحانه:

﴿ وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ وَمَن يَنقَلِبْ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ فَلَن يَضُرَّ اللَّهَ شَيْئًا وَسَيَجْزِي اللَّهُ الشَّاكِرِينَ ﴾ [آل عمران : ١٤٤].

وكان من واجب المسلمين وقد عرفوا هذه الحقيقة أن يسرعوا باختيار خليفة يلي أمر المسلمين في شؤون دينهم ودنياهم بعد أن لحق الرسول ﷺ بربه... فاجتمع المهاجرون بأبي بكر رضي الله عنه في المسجد لمواجهة الموقف... ولم يكن معهم - حينئذ - أحد من الأنصار فأبى أبو بكر أن يقضى في مثل هذا الموضوع الخطير دون وجود الأنصار لما لهم من حق معترف به، وحتى يكون الأمر باتفاق واختيار من الأمة الإسلامية جمعاء، ولا يكون هناك خلاف وخصام أو تفرق وانقسام... وقد فوجىء أبو بكر باجتماع الأنصار في سقيفة بنى ساعدة[1] فأسرع إليهم مع عمر بن الخطاب وأبي عبيدة بن الجراح. فوجدهم يتحدّثون في أمر الخلافة وقد أبدوا رغبتهم في أن يكون الخليفة واحداً من بينهم، وحُجَّتهم في ذلك أنهم هم الذين آووا رسول الله ﷺ والمسلمين المهاجرين معه وَنَصَرُوهُم. وقد دارت في هذا الاجتماع مناقشات بين المهاجرين والأنصار وأدْلىَ كُلُّ فريق بحجته. ولكن أبا بكر رضي الله عنه حسم الموقف في النهاية حينما وقف خطيباً وأعلن فضل الأنصار وأثنى عليهم وبيَّن أن المهاجرين والأنصار أمة واحدة يتجهون إلى هدف واحد، وأورد من الآحاديث والحجج القوية ما يثبت حق قريش في الإمامة،

---

(١) السقيفة هي ظلة كانوا يجلسون تحتها عند بئر عُرفَ ببئر بضاعة، وبني ساعدة حي من الأنصار من الخزرج.

فاذعنوا لحجته، ثم وجدوا أن أصلح رجل يمكن أن يتولى الخلافة هو أبو بكر رضي الله عنه لما له من المزايا التي لا تتوفر لغيره من أصحاب الرسول ﷺ ورضي الله عنهم جميعًا، ولا غرو فهو رفيق الرسول ﷺ في هجرته. وثاني اثنين إذ هما في الغار وقد قدَّمه الرسول ﷺ لإمامة المسلمين في مرضه الأخير وقال: (يأبى الله والمسلمون إلا أبا بكر) إلى غير ذلك، فمدَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه يده إليه وبايعه بالخلافة. ثم بايعه بعد ذلك سائر المجتمعين.. فلما كان اليوم التالي[1]. اجتمع أبو بكر - رضي الله عنه - بالمسلمين في المسجد وتمت بيعته بإجماع من المهاجرين والأنصار[2] وبذلك أصبحت بيعته مشروعة، وطاعته واجبة، وأصبح خليفة رسول الله، وأول الخلفاء الراشدين.

سياسة أبي بكر رضي الله عنه :

يمكننا أن نستخلص سياسة أبي بكر رضي الله عنه من خطبته الموجزة الجامعة التي خطبها في مسجد الرسول ﷺ على إثر أخذ البيعة العامة له في اليوم التالي لاجتماعٍ السقيفة. فقد جاء فيها: «أيها الناس، إني قد وُلِّيتُ عليكم ولستُ بخيركم، فإن أحسنْتُ فأعينوني، وإن أسأت فقوِّموني. الصدق أمانة، والكذب خيانة، والضعيف فيكم قوي عندي حتى آخذ الحق له إن شاء الله، والقويُّ فيكم ضعيف عندي حتى آخذ الحق منه إن شاء الله، لا يدع قوم الجهاد في سبيل الله إلا ضربهم الله بالذل، ولا تُشيع الفاحشة في قوم قط إلا عمهم الله بالبلاء، أطيعوني ما أطعتُ الله ورسوله، فإذا عصيتُ الله ورسوله فلا طاعة لي عليكم».

والمتأمل في هذه الخطبة - على قصرها - يجد فيها الدستور الكامل الذي يمكن أن تُساس به الشعوب في جميع الأزمنة والعصور، فهي تشير إلى:

١ - ما يجب أن يتحلَّى به الحاكم من التواضع.

٢ - وتشير إلى حرية الرأي في سبيل الخير.

٣ - وتشير إلى العدل والإنصاف في أسمي درجاته وأبعد غاياته.

٤ - وتدعو إلى الجهاد في سبيل الله.

---

(١) كان يوم الثلاثاء ١٤ ربيع الأول سنة ١١ هـ.

(٢) وقد أثبت هذا الإجماع ابن كثير رحمه الله في تاريخه البداية والنهاية (٦/٣٠١) وغيره من المؤرخين المنصفين بأدلة قوية وقاطعة.

٥ - وتأمر بالمعروف وتنهى عن الفحشاء والمنكر.

٦ - وتقيم حداً فاصلاً ضد الظلم والطغيان وهذا الحد هو طاعة الله ورسوله والتمسك بأهداب الدين. حتى إذا تجاوز الحاكم هذا الحدَّ كان ظالماً لنفسه وللناس فلا طاعة له عليهم.. وهكذا يرسم الخليفة أبو بكر في سطور قليلة سياسة رشيدة جليلة نطق بها قلبه قبل لسانه، ولا غَرْوَ فقد صدقتها أفعاله الخالدة وأعماله المجيدة التي حفظها تاريخ الإسلام على توالي الأزمنة والعصور.

إنفاذه جيش أسامة رضي الله عنه :

كان رسول الله ﷺ قد جهز حملة قبل وفاته لغزو بلاد الشام وعقد لواءها لأسامة بن زيد بن حارثة رضى الله عنهما، وقد اختاره الرسول ﷺ لقيادة هذه الحملة على الرغم من صغر سنه (إذ كان لا يزيد على الثامنة عشرة من عمره)؛ تكريمًا لجهاد أبيه زيد بن حارثة رضي الله عنه واستشهاده في سرية مؤتة. ولما توسمه ﷺ فيه من المواهب القيادية الحكيمة. ولما له ولأبيه رضي الله عنهما من حب في نفس رسول الله ﷺ فهو حِبٌّ وابن حِبٍّ رسول الله ﷺ والذي يحبه المسلم لا يخشى عليه من الجهاد فيحجزه عنه، وإنما يدفعه للجهاد، فهو إمّا النصر وإمّا الشهادة في سبيل الله.

قَدَّر الله عز وجل أن ينتقل الرسول صلوات الله وسلامه عليه إلى الرفيق الأعلى قبل أن يتم إنفاذ هذه الحملة، فرأى أسامة أن ينزل عن إمرة الجيش ويترك للخليفة الجديد (أبي بكر الصديق) حرية الاختيار، وهذا من فقه أسامة وعلمه وأدبه وهو يدلّ على سبب اختيار الرسول ﷺ لأسامة رغم صغر سنة، فلم يكن ﷺ ليختار رجلاً أميراً على المسلمين إلا وهو أهل لذلك. ولكن أبا بكر رضي الله عنه صمم على أن ينفذ ما رآه رسول الله ﷺ في حياته فأقر أسامة على قيادة الجيش وأمره بالخروج وتحت لوائه جمع كبير من المهاجرين والأنصار وفيهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

وبلغ من تكريم أبي بكر رضي الله عنه لأسامة وتدعيمه لقيادته أنه سار في توديعه ماشياً على قدميه وأسامة راكب.. وقد قال أسامة رضي الله عنه: يا خليفة رسول الله، لتركَبَنَّ أو لأنزلَنَّ... فأجابه أبو بكر: «والله لا نزلْتَ ولا أركبُ.. وما عليَّ أن أغبر قدمَيَّ ساعة في سبيل الله».. ثم قال أبو بكر لأسامة: إن رأيت أن تعينني بعمر بن الخطاب فافعل.. فوافق القائد الشاب على الفور. وبقى عمر إلى جوار أبي بكر في المدينة ليساعده على أعباء الخلافة.

جيش
أسامة بن زيد
رضي الله عنهما

البحر الكبير (المتوسط)
القدس
غزَة
بئر السبع
العريش
قليزما
(السويس)
البتراء
معان
أيلة
سيناء
تبوك
خريبة
ضبا
تيماء
مصر
بحر القلزم (الأحمر)
مدائن صالح
العلا
الوجه
خيبر
ينبع
المدينة المنوّرة

وصية أبي بكر لجيش أسامة:

ثم وصاه أبو بكر فقال: «لا تخونوا ولا تَغُلُّوا ولا تغدروا، ولا تُمَثِّلوا، ولا تقتلوا طفلاً صغيراً ولا شيخاً كبيراً ولا امرأة، ولا تعقروا نخلاً ولا تحرقوه ولا تقطعوا شجرة مثمرة».. الخ هذه الوصية العظيمة وهى وصية رائعة تتجلى فيها مبادىء الإسلام العادلة التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، وإلى الرحمة بالضعفاء، وإلى البعد عن التدمير والإفساد.

وقد حرص أسامة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على تنفيذ وصية الخليفة الجليل. واتجه بجيشه حتى نزل في منطقة البلقاء حيث تقع مؤتة، وقاتل أناساً إرتدوا من قبيلة قضاعة وهزمهم وأذلهم وقضى على كل من وقف في وجهه من أعداء الإسلام، ثم رجع إلى المدينة بعد سبعين يوماً من خروجه.

أثر إنفاذ جيش أسامة:

كان إنفاذ جيش أسامة خيراً وبركة إذ أن أعداء الإسلام قد أُلقي في قلوبهم الرعب. واعتقدوا أن المسلمين لا يزالون على قُوَّتهم وأن الضعف لم يتسرب إلى نفوسهم بعد وفاة النبي ﷺ فرجعوا عما كانوا يريدون من الكيد للمسلمين.

حركة الردة وموقف أبي بكر رضي الله عنه منها :

أنواع المرتدين:

لم يكد أبو بكر يتسلم مهام منصبه الكبير حتى انتشرت حركة الردة في أرجاء الجزيرة العربية، وأصبحت هذه الحركة مصدراً لفتنة كبرى لا يعلم مداها إلا الله سبحانه.

وكان لهذه الفتنة صورتان: إحداهما: صورة امتناع عن أداء الزكاة لأنها في نظر هؤلاء الممتنعين ضريبة كانت تُؤدّى للرسول ﷺ فلا ينبغي استمرارها بعد وفاته.

والصورة الأخرى: الخروج الصريح عن الدين والانضمام لحركة المتنبئين.

ثم لم تلبث الصورتان أن اختلطتا. وقد جمعتهما العداوة للإسلام ومحاولة القضاء عليه. وهذه العداوة للإسلام ومحاولة القضاء عليه هى حركة الرِّدَّة التي أصبح من واجب أبي بكر أن يستأصلها من الجزيرة قبل أن يستفحل خَطَرُها.

ونشير إلى أن حركة المتنبئين قد ظهرت قبيل وفاة الرسول ﷺ بدافع من العصبية القبلية. فظهر «مسيلمة الكذاب» في بنى حنيفة وادعى النبوَّة وتبعه عدد كبير منهم بدافع من تلكم العصبية القبلية.

وفي بني تميم ظهرت امرأة يقال لها: «سجاح» وقد ادّعت النبوَّة وتبعها قومها من تميم وهم يعلمون كذبها ولكن العصبية القبلية هي التي حملتهم على اتباعها.

وفي اليمن ظهر متنبىء آخر يقال له: «الأسود العنسي». وهكذا.. وقد أشاع هؤلاء المتنبؤون الفساد في أرجاء الجزيرة العربية واتبعهم كثير من العرب حقداً على قبيلة قريش لأن النبي محمداً ﷺ ظهر منها.. فأرادوا ألا تكون النبوَّة مقصورة على قبيلة قريش. وهؤلاء هم الأعراب الذين دخلوا الإسلام خضوعاً للقوة أو تبعاً للزعماء. ولم يدخل الأيمان في قلوبهم وهم الذين قال الله تعالى فيهم

﴿ قَالَتِ ٱلۡأَعۡرَابُ ءَامَنَّاۖ قُل لَّمۡ تُؤۡمِنُواْ وَلَٰكِن قُولُوٓاْ أَسۡلَمۡنَا وَلَمَّا يَدۡخُلِ ٱلۡإِيمَٰنُ فِي قُلُوبِكُمۡۖ ﴾ [الحجرات: ١٤]

موقف أبي بكر رضي الله عنه من مانعي الزكاة:

كان رأي أبي بكر واضحاً من أول الأمر وهو وجوب قتال مانع الزكاة: لأنه في حكم المرتد في وجوب قتاله، وكان عمر رضي الله عنه يعارض في قتال مانعي الزكاة ولا يسميهم مرتدين، ووجهة نظره أن الرسول ﷺ قال: «أُمِرتَ أن أقاتل الناس حتى يقولوا لا إله إلا الله. فمن قالها عصم منى ماله ونفسه إلا بحقه وحسابه على الله» وأن الوضع عصيب يكاد يعصف بالدولة المسلمة الأمر الذي يتطلب تأخير قتال مانعي الزكاة وعدم استشارتهم على الأقل - إن كان لابد من قتالهم - في مثل هذه الظروف.. ولكن أبا بكر رأى في الامتناع عن دفع الزكاة هدْماً لركن من أهم أركان الدين. وقد يَجُرُّ التهاون فيه إلى هدم غيره من الأركان، فقال: والله لأقاتلن من فرَّق بين الصلاة والزكاة فإن الزكاة حق المال. والله لو منعوني عقالا[1]. كانوا يؤدونها إلى رسول الله ﷺ لقاتلتهم على منعها.. فلم يلبث عمر أن اقتنع بوجهة نظر أبي بكر. وعرف أن الطريق الذي ارتضاه أبو بكر هو الطريق الحق والخير. وأن المرتدَّ عن دفع الزكاة إن لم يؤخذ على يده سوف يرتدُّ بعد قليل عن إقامة الصلاة، ثم يرتدُّ عن الدين كله وهذا حَزْمٌ من أبي بكر رضي الله عنه ثقة بنصر الله بل هو منتهى الحزم..

وقد قسّم أبو بكر الجيش إلى أحد عشر لواءً لأحد عشر أميراً منهم خالد بن الوليد وعكرمة بن أبي جهل وعمرو بن العاص إلى غير هؤلاء رضي الله عنهم من القادة.

كتاب أبي بكر رضي الله عنه إلى المرتدين:

أصدر أبو بكر رضي الله عنه كتاباً عاماً وجَّهه إلى المرتدين في أنحاء الجزيرة. وبعث بهذا الكتاب رسلاً يتقدّمون الجيوش ليقرءوه على الناس حتى يفتح لهم باب الرجوع إلى الحق ويتيح لهم الفرصة المناسبة ليتدبروا أمرهم، وحتى يُبرىء ذمته أمام الله قبل أن تقع الحرب وتراق الدماء.. وقد جاء في هذا الكتاب: «وقد بلغني رجوع من رجع منكم عن دينه جهالةً بأمر الله وإجابةً للشيطان. وقد قال الله سبحانه وتعالى:

﴿ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴾ [فاطر : ٦].

---

(١) العقال الحبل الذي يعقل به البعير وفي رواية (لو منعوني عناقاً)..

وإني قد بعثت إليكم فلانًا في جيش من المهاجرين والأنصار والتابعين لهم بإحسان. وأمرته ألا يقاتل أحداً ولا يقتله حتى يدعوه إلى داعية الله. فمن استجاب له وأقرَّ وكفَّ وعمل صالحاً قبل منه وأعانه عليه، ومن أَبَي أمَرْتُ أن يقاتله على ذلك. ثم لا يَبقِي على أحد منهم قُدِر عليه، وأن يحرقهم بالنار ويقتلهم كل قتلة. وأن يسبى النساء والذراري ولا يقبل من أحد إلا الإسلام فمن اتبعه فهو خير له، ومن تركه فلن يعجز الله»[1].

وقد تقدمت الرسل بهذا الكتاب أمام الجيوش. فلما وصلت الجيوش نفذت كل ما جاء به في حزم ودقة فكانوا لا يقاتلون إلا من أبى أن يدخل في الإسلام وكانوا يبدءون بدعوتهم إلى الرجوع إلى دين الحق. فمن أجابهم إلى ذلك تركوه وفرحوا به وأعانوه.. ومن امتنع وآبىٰ إلا أن يتمادى في الكفر والضلال قاتلوه.

وكان من نتيجة ذلك أن وقعت اصطدامات هائلة بين جيوش المسلمين وبين هؤلاء المتمرِّدين من المتنبئين والمرتدِّين، وبذل المسلمون في هذه الحروب كل قوّتهم، وتجلّى إيمانهم في أروع صوره وأسمى مظاهره، واستطاعوا في النهاية وقبل مرور عام أن يقطعوا دابر تلك الفتنة، ويعيدوا المرتدين إلى دينهم الذي بلَّغه الرسول ﷺ على حقيقته النقيَّة الصافية، وبذلك عادت للإسلام قوته وازدهاره في أنحاء الجزيرة، وعلت كلمة التوحيد فيها من جديد.. وكان ذلك بفضل الله ثم بفضل أبي بكر الصديق المؤمن الحازم الذي صمد صمود الجبال الرواسي في سبيل الله عز وجل فنصر الله به الدين.

وقد بدأت حروب الردة سنة ١١ هـ وانتهت في السنة الثانية عشرة من الهجرة النبوية الشريفة.

---

(١) نقلا عن الطبري جـ ٣ ص ٢٤٧.

ألوية حُرُوبُ الـرِّدَّةِ
(١١ هـ)

الفتوح الإسلامية في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه :

عالمية الدعوة الإسلامية:

لم تكن الدعوة الإسلامية مقصورة على العرب وحدهم وإنما كانت دعوة شاملة إلى الناس كافة ومنذ عصر الرسول ﷺ إلى يوم القيامة. وفي ذلك يقول الله عز وجل:

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ويقول :

﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَـٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ [سبأ: ٢٨].

ويقول رسول الله ﷺ كما ثبت في الصحيحين: «وكان كل نبي يُبْعَث إلى قومه خاصة وبَعِثْتُ إلى الناس كافة».

ومن أجل ذلك أرسل الرسول ﷺ في حياته كتباً إلى الملوك والرؤساء خارج الجزيرة العربية يدعوهم فيها إلى توحيد الله والإيمان برسالته وكان منهم هرقل ملك الروم وكسرى ملك الفرس. وهما حينئذ يمثلان أعظم قوتين في هذا العالم.. وكانت أحكام الجهاد في الإسلام قد نزلت على ثلاث مراحل:

الأولى : الصبر على الأذى، وعدم الرد عليه في مكة، مع تقرير مبدأ دفع العدوان دون تنفيذه.

الثانية : في المدينة وبعد الهجرة مباشرة أذن الله للمسلمين أن يدفعوا الظلم والاعتداء عن أنفسهم:

﴿ أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَـٰتَلُونَ بِأَنَّهُمْ ظُلِمُوا۟ ۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ ﴾ [الحج: ٣٩].

﴿ وَقَـٰتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴾ [البقرة: ١٩٠].

وذلك لأن المسلمين أصبحوا من القوة والتماسك بحيث تستطيع دولتهم الناشئة في المدينة أن تدافع عن نفسها وتخيف أعداءها.

أما الثالثة والأخيرة : فقد جاءت أحكام الجهاد حين استكملت الدولة الاسلامية في المدينة قوتها وترابطها ومكانتها، فأمروا بمقاتلة الكفار ابتداءً وهدم سلطانهم ودولتهم. لتكون كلمة الله هى العليا وكلمة الذين كفروا السلفى، دون أن يكون هناك إكراه في الدين والاعتقاد. اللهم إلا كفار جزيرة العرب فإنه لا يجتمع فيها دينان كما قرره رسول الله ﷺ: ونزل الأمر بذلك من رب العزة :

﴿ قَـٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَـٰبَ حَتَّىٰ يُعْطُوا۟ ٱلْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَـٰغِرُونَ ﴾ [التوبة : ٢٩].

ولذلك كان قادة الجهاد يخيرون الكفار بين ثلاثة أشياء: الإسلام، أو الجزية[١] أو الحرب. هذا ما تدل عليه الأدلة الشرعية الصحيحة الصريحة.

وتنفيذاً لأمر الله بجهاد الكفار في ديارهم وهدم عزهم وسلطانهم بدأ أبو بكر رضي الله عنه بالاستعداد لذلك بعد أن فرغ من فتنة المرتدين.

توجيه المسلمين لفتح بلاد الفرس والروم:

لقد كان من يقظة أبي بكر رضي الله عنه وبعد نظره أن يُسيِّر الجيوش إلى خارج الجزيرة العربية بعد أن طهَّر الجزيرة من حركة المرتدِّين والمتنبئين وكان ذلك تطبيقاً لمبدأ عالمية الرسالة الإسلامية، والذي قرره الإسلام وبدأ الرسول ﷺ تنفيذه بإرسال الرسل والرسائل إلى الملوك والأمراء، كما أن غزوة مؤتة ثم غزوة تبوك أيام رسول الله ﷺ إضافة إلى بعث أسامة - كانت مقدمة لتلك الإنطلاقة الكبرى، التي قام بها المسلمون بعد وفاة الرسول ﷺ وبدأها الصديق رضي الله عنه هذه الإنطلاقة التي كان وراءها إيمان راسخ يعمر النفوس وتَوّقٌ إلى الجهاد في سبيل

---

(١) الجزية مبلغ من المال يفرض على الذميين وهم، المقيمون في بلاد الإسلام بشكل دائم من أهل الكتاب ومن في حكمهم. إعلاناً لخضوعهم لسلطة الإسلام، وإعفاء لهم من القتال والزكاة، وفي مقابل ما توفره دولة الإسلام لهم من الأمن والأمان .

الله، وإعداد سليم وقيادة بارعة، لقد وجه الصديق هذه الطاقات العظيمة إلى طريقها السليم وهو الجهاد في سبيل الله وإعلاء كلمته حتى أنه رضي الله عنه فتح جبهتين للجهاد في وقت واحد أمام دولتي الفرس المجوسية والروم النصرانية.

ولا ريب أن الخليفة العظيم كان يقدِّر حجم القُوَّة التي يتمتع بها المسلمون. والروح المعنوية العالية التي غرسها الإسلام في نفوسهم حيث وحَّد كلمتهم وألَّف بين قلوبهم وجعلهم يستعذبون المصاعب في سبيل نشر الدعوة الإسلامية وإعلاء كلمة الحق والدين، بل يستقبلون الموت في سبيل الله فرحين مستبشرين..

ومهما كان لدولة الفرس ودولة الروم - حينئذ - من مجد وسلطان وعُدَّة وبأس شديد وجيوش مجهزة بالأسلحة ومدرّبة على الحرب والقتال، فهيهات أن يوازن ذلك بالقوة الهائلة التي تحققت للجيوش الإسلامية بعد أن دخلت في الإسلام وصقلتها آدابه وتعاليمه، وهي التعاليم التي تضمن للمجاهدين في سبيل الله إحدى الحسنين: إما الظفر والغنيمة في الدنيا، وإما الشهادة في سبيل الله كما يشير إلى ذلك قوله تعالى:

﴿قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَآ إِلَّآ إِحْدَى ٱلْحُسْنَيَيْنِ ۖ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَن يُصِيبَكُمُ ٱللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِندِهِۦٓ أَوْ بِأَيْدِينَا ۖ فَتَرَبَّصُوٓا۟ إِنَّا مَعَكُم مُّتَرَبِّصُونَ﴾ [التوبة: ٥٢].

وقوله سبحانه:

﴿۞ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ۚ وَمَن يُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٧٤].

ويضاف إلى ذلك قوة تحمل الجندي المسلم فهو ينام في العراء ويتعرض لتقلبات الأجواء دون أن يوهن ذلك من قُوَّته أو يضعف من عزيمته، وذلك مع يقينه الكامل بقضاء الله وقدره فهو يندفع إلى لقاء العدو غير هياب ولا وجل ثقة منه بأن قضاء الله محتوم لا ريب فيه، وأن الله إنما يريد الخير دائماً لمن يثق بقضائه وقدره، بينما جنود الأعداء لا يوجد فيهم مثل هذا الاستعداد ولا تتوفر لديهم مثل هذه الصفات.

ومن أجل ذلك كله اطمأن أبو بكر رضي الله عنه إلى توجيه الجيوش الإسلامية لقتال الفرس والروم في وقت واحد ، للوصول إلى الغاية المرجوة والهدف المنشود وهو نشر الدين الإسلامي وإعلاء كلمة الله في هذه البلاد التي كان يخيِّم عليها الظلم والظلام، وحتى يتم الله نعمته على العالمين.

وكان الجيش الذي وجهه أبو بكر لقتال الفرس بقيادة القائد المؤمن الفذ خالد بن الوليد رضي الله عنه وقد استطاع خالد أن يخضع القبائل التي كانت تقيم في جنوبي الفرات واستولى على الحيرة وجعلها مركزاً لقيادته وعلى الكثير من مدن العراق بعد أن كبَّدَ الفرس هزائم متتالية.

أما الجيش الذي ذهب لقتال الروم في بلاد الشام فكان على رأسه من قادة المسلمين أبو عبيدة عامر بن الجراح، ويزيد بن أبي سفيان، وعمرو بن العاص وشرحبيل بن حسنة رضى الله عنهم وكان أكثر عدداً وعُدَّة إذ كان يقدر بحوالي أربعين ألفاً وهو أضعاف العدد الذي اتجه لدولة الفرس، وقد قابله الروم بجيش أضخم عدة وأكثر عدداً إذْ يُقدّر بحوالي المائتي ألف.. ولما أدرك أبو بكر رضي الله عنه خطورة الموقف أمدَّهم بخالد بن الوليد رضي الله عنه، فاتجه خالد من العراق إلى الشام وعبر بادية السماوة وكان له مع الروم موقف بطولي فذ في موقعة خالدة هي موقعة اليرموك.

موقعة اليرموك[1] :

كان قادة المسلمين في بلاد الشام قبل مجيء خالد بن الوليد رضي الله عنه يقاتلون متساندين متعاونين، لا تجمعهم قيادة واحدة، فلما وصل إليهم خالد رضي الله عنه ولي القيادة تنفيذاً لأمر الصديق رضي الله عنه.

وقد قسم خالد رضي الله عنه الجيش إلى قلب وميمنة وميسرة، فكان قلب المسلمين في مواجهة قلب الروم، وميمنة المسلمين في مواجهة ميسرة الروم، وميسرة المسلمين في مواجهة ميمنة الروم.

---

(١) اليرموك نهر يصب في نهر الأردن جنوب بحيرة طبرية، وينبع من مرتفعات حوران وحدثت المعركة في سنة ١٣ للهجرة.

وقسم الجيش إلى ستة وثلاثين كردوسا[1]، وجعل على كل كردوس رجلاً من شجعان المسلمين.

وكان على القلب أبو عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وعلى الميمنة عمرو بن العاص ومعه شرحبيل بن حسنة رضي الله عنهما وعلى الميسرة يزيد بن أبي سفيان رضي الله عنهما.

موقع المعركة[2]:

جرت أحداث الموقعة شمال نهر اليرموك، وبالتحديد بين أحد روافد اليرموك، وهو وادى العلان، وبين رافده «وادى العلق» حيث احتشد المسلمون في منطقة تمتد من جنوب بلدة «نوى» حتى شرق «سحم الجولان»، جاعلين نهر اليرموك على يسارهم في حين تكثر من خلفهم وعن يمينهم الصخور البركانية، مما يجعل محاولة الروم للإلتفاف حول معسكر المسلمين عديمة الجدوى. بينما كانت المنطقة الجنوبية الغربية مفتوحة ، يمكن المسلمين في حال الهزيمة - لا قدر الله - التراجع من خلالها، كما تصلهم عن طريقها الإمدادات من المدينة إذا لزم الأمر، وفي الوقت نفسه فإن نهر اليرموك يحول بين الروم وبين الالتفاف حول معسكر المسلمين من هذه الجهة حيث لا يمكنهم عبوره لانحداره الشديد وعمقه.

وهكذا فإن اختيار المسلمين هذا الموقع للقتال كان اختياراً موفقاً يدل على حسن الإدراك وبعد النظر والخبرة بفنون القتال ومعرفة بطبيعة الأرض التي يتحركون عليها.

ويرى أن الذي أشار على المسلمين بهذا الموقع هو أبو سفيان رضي الله عنه وأرضاه، وهكذا كان المسلمون يلتزمون بمبدأ الشورى عملاً بقول الله تعالى:

﴿ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ ﴾ [الشورى: ٣٨]

وبهذا يستفيد المسلمون من كافة إمكاناتهم وخبراتهم فربما أشار الجندي على القائد بأمر يكون فيه الخير الوافر.

---

(١) الكردوسة في الجيش القطعة العظيمة من الخيل أي : قسَّم الخيل كتيبة كتيبة.

(٢) انظر : محمود شاكر - ميدان معركة اليرموك ص٢٦، ٢٧، ٢٨، ٢٩.

وإذا كان اختيار المسلمين - كما رأينا - لموقع القتال موفقاً، فإن الروم بالعكس من ذلك، قد اختاروا موقعاً، حصروا انفسهم فيه، فنهر اليرموك عن يمينهم، ووادي الرقاد ـ بعد أن عبروه ـ والواقوصة ونهر الأردن من خلفهم وعن شمالهم سلسلة تلال وجبال، فغدوا لا يجدون لهم منقذاً إلا أن يخترقوا صفوف المسلمين وأنى لهم ذلك؟

مما يعنى في حال الهزيمة هلاكاً محققاً لجيش الروم، ومع ذلك فلقد تصور الروم أنهم بموقعهم هذا قد حصنوا أنفسهم، وما دروا أنهم قد حبسوا أنفسهم بسوء تدبيرهم، الأمر الذي أدركه المسلمون وعَبَّرَ عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه بقوله: « حصرت والله الروم، وقلما جاء محصور بخير، أبشروا أيها المسلمون».

سير المعركة:

قبل بداية المعركة قال رجل من نصارى العرب محاولاً تخذيل خالد بن الوليد رضي الله عنه بتخويفه بجموع الروم الكثيرة قال:

«ما أكثر الروم وأقل المسلمين»، فقال خالد: «ويلك أتخوفني بالروم؟ إنما تكثر الجنود بالنصر، وتقل بالخذلان لا بعدد الرجال، والله لوددت أن الأشقر[1] براء من توجيه[2]، وأنهم أضعفوا في العدد».

وفي هذه الكلمة القوية المؤمنة من القائد القوي المؤمن فراسة واضحة على قيمة الإيمان وأثره في استجلاب النصر، فالعبرة دائماً بالكيف لا بالكمّ وبقوة العقيدة، لا بكثرة العدد والعدة، إذ لا قيمة للسلاح في يد الجبان..

دروس تعلمها خالد رضي الله عنه من الإسلام واستوعبها، بل تعلمها المسلمون واستوعبوها فكان نصر الله لهم طالما التزموا بمدلولها.. وبغير هذا كانوا يُهْزَمُون.

---

(١) الأشقر : فرس خالد رضي الله عنه.

(٢) توجيه : من التوجي ألم في باطن حافر الفرس وغيره. أي أن فرس خالد قد اشتكى باطن حافره.

وحينما بدأت المعركة، اشتدت هجمات الروم على ميمنة المسلمين وميسرتهم، حتى انكشف القلب، وبدأ الروم يركزون هجماتهم عليه أملاً في الوصول إلى مقر القيادة، حيث يوجد خالد بن الوليد رضي الله عنه في محاولة منهم تهدف إلى قتله أو أسره.

ولكن خاب فألهم، فلقد ثبت القلب بقيادة خالد بن الوليد رضي الله عنه، وقائد القلب أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه وإخوانهما من المجاهدين كعكرمة بن أبي جهل وسعيد بن زيد وغيرهما رضى الله عنهم أجمعين حيث أظهر المسلمون من الثبات والصبر والاستبسال في القتال، ابتغاء مرضات الله، ثم طلباً للنصر على الأعداء أو الشهادة في سبيل الله، ما كان كفيلاً ـ بحول الله ـ بأن يحول بين الروم وبين ما كانوا يرمون إليه مما فَتَّ في عضدهم وكسر حدة هجومهم.. وبينما كان القتال يدور على أشده ومحاولة الروم لاختراق صفوف قلب الجيش الإسلامي قائمة على قدم وساق، كان قائد الميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه وكذلك قائد الميسرة يزيد بن أبي سفيان رضى الله عنهما يعملان من أجل إعادة ترتيب صفوفهما، وقد نجحا في ذلك، ليقوما بالهجوم المضاد على الروم، ليخف بالتالي الضغط الرومي على القلب وفي الوقت نفسه دوى صوت عكرمة بن أبي جهل رضي الله عنه: «من يبايعني على الموت» لقد شمّ المجاهدون – بعد أن سمعوا هذا النداء – عَرْفَ الجنةَ واشتاقوا إلى لقاء الله تعالى فتسابقوا يبايعون عكرمة، حتى كَوَّن منهم كتيبة مكونة من أربعمائة كلهم قد باع نفسه لله، سميت هذه الكتيبة «كتيبة الموت»، فخلعوا الدروع وانقضوا على صفوف الروم، ليكون بعد ذلك الظفر والنصر للمسلمين، ويختار الله من المسلمين شهداء وكان منهم جميع أفراد «كتيبة الموت» إلا نفر قليل.

وإذاً فلقد تغير الوضع وانقلب الموقف بالنسبة للروم، فلم يعد لهم قدرة على الوقوف أمام المسلمين..

وهنا يتبين لنا حذق خالد رضي الله عنه ومهارته الحربية، حيث لاحظ أن فرسان الروم – وعددهم يصل إلى ثمانين ألف فارس – بدأوا يجولون في ميدان القتال كأنهم يبحثون عن منفذ يهربون منه، ولا منفذ لهم إلا أن يخترقوا صفوف المسلمين، ولا يستطيعون ذلك، هنا تتجلى لنا قدرة خالد رضي الله عنه بأن يخلي بين الفرسان وبين الهرب، فأوسع لهم الطريق فانتهز فرسان الروم هذه الفرصة ليولوا هاربين لا يلوون على شيء، ليطبق المسلمون على مشاة الروم.

وهكذا حلت الهزيمة الساحقة بجيش الروم النصراني، ومما ساعد على هزيمتهم أن الروم كانوا قد ربطوا عدداً كبيراً من جنودهم بالسلاسل والحبال جماعات جماعات خوفاً من فرارهم، وقد أدى ذلك إلى عدم قدرتهم على الحركة السريعة، فلما طاردهم المسلمون وأرغموا على الهرب قتلت أعداد كبيرة منهم بالغرق في النهر أو التردى في الواقوصة، وكان يكفي أن يتردى جندى واحد ليجرَّ وراءه كل من ربط معه.

وقد استمرت المعركة طول النهار وقليلاً من الليل، ثم انجلت عن النصر المؤزر للمسلمين والهزيمة الساحقة للروم، حتى أن عدد القتلى منهم يقدر بمائة وعشرين ألفاً، يقابلهم ثلاثة آلاف من المسلمين ، وذلك بفضل الله سبحانه، ثم بفضل الإيمان العميق في نفوس هؤلاء الجند الذين تربوا في احضان النبوة، وانطلقت كتائبهم من مسجد رسول الله ﷺ وامتثلوا الأمر قادتهم المسلمين.

نتيجة المعركة :

تعد موقعة اليرموك من المواقع الخالدة في تاريخ الإسلام، فلقد كان نصر المسلمين فيها حاسماً بقدر ما كانت هزيمة الروم ساحقة مروعة. ومن أجل ذلك رأينا هرقل امبراطور الدولة الرومانية النصرانية يودع سورية بعد هذه الموقعة فيقول: «سلام عليك سلاماً لا لقاء بعده».

وها هي معركة اليرموك تؤكد حقيقة النصر والهزيمة، تلك الحقيقة التي عَبَّرَ عنها خالد رضي الله عنه كما قدمنا بقوله: «إنما تكثر الجنود بالنصر وتقل بالخذلان..».

وكان من نتيجة ذلك أن إزدادت هيبة المسلمين في نفوس أعدائهم، مما أضعف قوتهم وتفرق صفوفهم، بينما ازداد المسلمون يقيناً على يقينهم وإيماناً مع إيمانهم. كيف لا؟ وهم يرون بشارة المصطفى ﷺ لهم بميراث قصور قيصر تتحقق.

وبعد اليرموك انتقل المسلمون من نصر إلى نصر، وقد كانت هذه المعركة الفاصلة في سنة ١٣ هـ.

اليرموك

١٣هـ / ٦٣٤ م

خربة النيلة
شحم الجولان
شلال اليرموك
وادي اليرموك
هروب الروم
جلين
تل الأشعري
طفس
كتيبة القعقاع بن عمرو
فرقة عمرو بن العاص
الـــروم
وادي الذهب
التجارية عكرمة
حرثة
الخربية
درعا
فرقة يزيد بن أبي سفيان
فرقة أبي عبيدة و شرحبيل

عكا
حيفا
عتليت
الناصرة
طبرية
فلسطين
قيسارية
بيسان
جنين
فحل
اليرموك
إربد
درعا
ازرع
طولكرم
نابلس
نهر الأردن
جرش
البلقاء
يافا
اللد
عمواس
رام الله
أريحا
الرملة
القدس (إيلياء)
عمان
بيت لحم
أجنادين
البحر الميت

جمع القرآن الكريم:

كان من أجلِّ أعمال أبي بكر رضي الله عنه وأعظمها أثراً في تاريخ الإسلام جمعه للقرآن الكريم، وقد عهد أبو بكر بهذا العمل الجليل إلى زيد بن ثابت رضي الله عنه وفي ذلك يقول زيد رضي الله عنه كما جاء في صحيح البخاري : أرسل إليَّ أبو بكر بعد موقعة اليمامة وكان عنده عمر بن الخطاب، فقال لي: «إن عمر أتاني فقال: إن القتل قد استحَرَّ (أي كثر) بالقُرَّاء في موقعة اليمامة. وأخشى أن يزداد القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن. إلا أن تجمعوه» ثم يقول أبو بكر: «فشرح الله صدرى لذلك (أي لجمع القرآن) ورأيت الذي رأى عمر...» ثم قال أبو بكر لزيد بن ثابت: «إنك رجل عاقل ولا نتهمك.. كنت تكتب الوحي لرسول الله ﷺ فتتبَّع القرآن فاجمعه». ويقول زيد بن ثابت : فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل عليَّ مما أمرني به من جمع القرآن.. ولكن أراد الله الخير لزيد فشرح صدره لهذا العمل الجليل.. فقام يتتبع آيات القرآن الكريم ويجمعها من الرقاع والعظام[1] وصدور الرجال.. وقد تحرى في جمعها الدقة الكاملة والحيطة التامة. حتى تمت كتابة المصحف في صحف جمعت كلها ووضعت لدى أبي بكر رضى الله عنه. ثم انتقلت من بعده إلى عمر، ثم انتقلت من بعده إلى حفصة بنت عمر إلى أن تمت كتابة المصحف العام لجميع الأقطار الإسلامية في أيام عثمان بن عفان رضي الله عنه.

(١) كانت آيات القرآن تكتب في عهد رسول الله ﷺ على الجلود وعلى الرقاع وعلى قطع من العظام وعلى العُسُب ولحاف الشجر.

مرض أبي بكر رضي الله عنه ووفاته :

يذكر المؤرخون أن أبا بكر مرض في اليوم السابع من جمادى الآخرة سنة ١٣هـ وأن مرضه استمر خمسة عشر يوماً. وكان يثقل عليه المرض يوماً بعد يوم إلى أن توفي رضي الله عنه. وكانت مدة خلافته سنتين وثلاثة أشهر وعشر ليال. وكان قد بلغ من العمر ثلاثاً وستين سنة.

وهكذا طويت تلك الصفحة المشرقة في تاريخ الإسلام، ولا غرو فقد جاهد في الله حق جهاده طيلة أيام الرسول ﷺ فلما لحق الرسول ﷺ بالرفيق الأعلى ووُسِّد الأمر إليه لم يحد عن المنهاج الذي شرعه الله ورسوله. فاستطاع في مدّة قصيرة أن يعيد تأسيس الدولة الإسلامية الكبرى داخل الجزيرة وخارجها.. فرضي الله عنه وأرضاه وجزاه الله خير ما جزى خليفة عن رعيته بل عن أمته المسلمة إلى يوم القيامة فقد حفظ الله به الدين وأعز به الحق المبين.

أسئلة وتطبيقات

س ١ : ورد في فضل الصحابة وواجبنا نحوهم أمور لا غنى للمسلم عنها. اذكرها.

س ٢ : من الصديق رضي الله عنه ومتى ولد؟ ولماذا سمى بهذا الاسم؟

س ٣ : ما موقف أبي بكر من عبادة الأصنام التي كانت موجودة في قومه قبل أن يسلم؟ وماذا تعرف عن إسلامه رضي الله عنه.

س ٤ : كان لأبي بكر الصديق رضي الله عنه في حياة الرسول ﷺ وبعد وفاته مواقف تدل على عميق إيمانه ومبلغ فضله. اذكر ثلاثة منها.

س ٥ : أجب عما يلي :

١ - وصف الصديق في الجاهلية والإسلام «بالعتيق» ما سبب ذلك؟

٢ - وصف «ثاني اثنين» ينطبق على الصديق في عدة مواقف أذكرها.

٣ - موقف من مواقف نصرة الصديق للرسول ﷺ.

س ٦ : (أ) كيف تمت البيعة بالخلافة للصديق رضي الله عنه .

(ب) يمكننا أن نستخلص سياسة الصديق بعد توليه الخلافة من خطبته التي خطبها بعد مبايعته. اذكر ما تعرفه من الخطبة، ثم استخلص منها ما تدل عليه.

س ٧ : ما موقف الصديق من:

١ - مانعي الزكاة؟

٢ - بعث أسامة، وأهم نتائجه؟

س ٨ : (أ) كانت الفتوح الإسلامية تنفيذاً عملياً لعالمية الدعوة الإسلامية. اذكر من القرآن والسنة ما يدل على ذلك. ثم تحدث عن مراحل نزول أحكام الجهاد.

(ب) ارسم خريطة لمعركة اليرموك، ثم اذكر أهم أحداثها. ونتائجها.

عمر بن الخطاب رضي الله عنه
١٣ – ٢٣ هـ

حياته قبل الخلافة :

نسبه وفضله :

هو أبو حفص الفاروق، عمر بن الخطاب بن نفيل بن عبد العُزَّي ويمتد نسبه إلى عديٍّ بن كعب بن لؤي.. ولد في مكة قبل الهجرة بأربعين سنة. ونشأ في بيت اشتهر بالسيادة والشرف، وتربى على الصدق والأمانة والجرأة في قول الحق.. وإليه كانت السفارة في الجاهلية فكانت قريش إذا وقعت الحرب بين بطونها أو بينها وبين غيرها من القبائل بعثوه سفيراً لهم يتحدث باسمهم ويعبر عن رغباتهم، وهو أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وثاني الخلفاء الراشدين، وأحد أحبَّاء النبي ﷺ المقربين، وأحد كبار علماء الصحابة وزُهَّادهم.

إسلامه رضى الله عنه :

يأتي إسلام عمر بن الخطاب رضي الله عنه في الوقت الذي كان عمر فيه في منتهى العداوة للإسلام والكيد له فبينا عمر بن الخطاب في طريقه للفتك برسول الله ﷺ عندما علم أنه ونفر من أصحابه في بيت عند الصفا «إذ لقيه نعيم بن عبد الله فقال: أين تريد يا عمر؟ قال أريد محمداً، هذا الصابىء الذي فرق أمر قريش وسفه أحلامها وعاب دينها وسب آلهتها فأقتله، فقال له نعيم والله لقد غرتك نفسك يا عمر، أترى بني عبد مناف تاركيك تمشي على الأرض وقد قتلت محمداً! أفلا ترجع إلى أهل بيتك فتقيم أمرهم؟ قال وأي أهل بيتي؟ قال خَتَنُك[1] وابن عمك سعيد بن زيد، وأختك فاطمة والله لقد أسلما وتابعا محمداً ﷺ على دينه..

---

(١) الخَتَن : زوج الابنة أو الأخت.

فرجع عمر عائداً إلى أخته فاطمة وزوجها سعيد وكان عندهما خباب بن الأرت معه صحيفة فيها سورة (طـه) يقرئهما إياها» فلما سمعوا حسّ عمر تغيب خباب وأخفت فاطمة الصحيفة، فلما دخل عمر قال ما هذه الهَيْنَمَة التي سمعت؟ قالا له: ما سمعت شيئاً. قال بلى والله وبطش بزوج أخته سعيد بن زيد فقامت فاطمة لتكفه عن زوجها فضربها فشجها فلما فعل ذلك قالت أخته وختنه: قد أسلمنا وآمنا بالله ورسوله فاصنع ما بدا لك، فلما رأى عمر ما بأخته من الدم ندم.. وقال لأخته أعطيني هذه الصحيفة..

عند ذلك طمعت فاطمة في إسلام أخيها فقالت: يا أخي إنك نجس على شركك وإنه لا يمسه إلا المطهرون. فاغتسل عمر فأعطته الصحيفة فقرأها فلما قرأ صدراً منها قال: ما أحسن هذا الكلام وأكرمه.. فلما سمع خباب ذلك خرج إليه فقال له: «والله يا عمر إني لأرجو أن يكون الله قد خصك بدعوة نبيه ﷺ، فإني سمعته أمس وهو يقول: « اللهم أيد الإسلام بأبي الحكم بن هشام أو بعمر بن الخطاب» فالله الله يا عمر. عند ذلك قال عمر رضي الله عنه فدلني يا خباب على محمد حتى آتيه فأسلم فدله خباب.

قال عمر: «فخرجت حتى وصلتُ إليه وقرعت الباب فقالوا: من ؟ قلت: ابن الخطاب فما اجترأ أحَدٌ على فتح الباب لأنهم كانوا يعرفون مدى شدتي على رسول الله ﷺ. فقال لهم النبيُّ ﷺ: افتحوا له. ففتحوا لي فأخذ رجلان بعضدَّي حتى أتيا بي النبي ﷺ فقال: خلو عنه. ثم أخذ بمجامع قميصي وجذبني إليه ثم قال: أسْلِمْ يا ابن الخطاب، اللهم أهده، فتشهَّدتُ. فكَبَّر المسلمون تكبيرة سُمعت بفجاج مكة..

وحينئذ قال عمر للرسول ﷺ: يا رسول الله : ألسنا على الحق؟ قال: بلى، قال: فلماذا نستخفي بديننا؟ وطلب من الرسول ﷺ أن يخرج المسلمون إلى المسجد فخرجوا جهاراً نهاراً وعلى رأسهم رسول الله ﷺ، وحمزة بن عبد المطلب، وعمر بن الخطاب رضي الله عنه حتى دخلوا المسجد ففزعت قريش لذلك فزعاً شديداً، وفرح المسلمون واستبشروا، وهكذا كان إسلام عمر فتحاً للإسلام ونصراً للدعوة ومبدأ عهد جديد للجهاد من أجل إعلاء كلمة الله تعالى.

صحبته لرسول الله ﷺ :

صحب عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ فأحسن صحبته. وبذل أعز ما يملكه في سبيل نصرته. وحين تعينت المدينة داراً للهجرة وأذن النبي ﷺ للصحابة بالهجرة إليها كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه من أوائل من هاجر من الصحابة.

وشهد مع رسول الله ﷺ كثيراً من غزواته. وكان ممن ثبت معه في غزوة أحد وغزوة حنين.

وكان عمر رضي الله عنه يرى الرأي أحياناً فينزل به القرآن. وقد أثِر عنه بعض موافقات للوحي وهي - بلا شك - إنما تدلُّ على ما كان يتمتع به رضوان الله عليه من عقل ناضج ورأى سديد.. ومن ذلك ماروي عنه في موقفه من الخمر حينما وضحت له أضرارها فقال: نسأل الله أن ينزل آية في تحريمها تحريماً قاطعاً. وقال: اللهم بَيِّنْ لنا في الخمر بياناً شافياً، فنزل قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلْخَمْرُ وَٱلْمَيْسِرُ وَٱلْأَنصَابُ وَٱلْأَزْلَٰمُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ ٱلشَّيْطَٰنِ فَٱجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [المائدة: ٩٠]

وكذلك موقفه قبل نزول آية الاستئذان، فَيُرْوَى أن رسول الله ﷺ بعث غلاماً من الأنصار إلى عمر بن الخطاب ظهيرة يوم يدعوه فوجده نائماً فناداه الغلام ودخل دون أن يسمع الإذن له بالدخول. فاستيقظ عمر وجلس فانكشف منه شيء. فقال عمر وددتُ أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا عن الدخول علينا في مثل هذه الساعات إلا بإذن.. ثم انطلق عمر إلى رسول الله ﷺ فوجد آية الاستئذان قد أنزلت. وهي قوله تعالى:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِيَسْتَـْٔذِنكُمُ ٱلَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ وَٱلَّذِينَ لَمْ يَبْلُغُواْ ٱلْحُلُمَ مِنكُمْ ثَلَٰثَ مَرَّٰتٍ مِّن قَبْلِ صَلَوٰةِ ٱلْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُم مِّنَ ٱلظَّهِيرَةِ وَمِنۢ بَعْدِ صَلَوٰةِ ٱلْعِشَآءِ ثَلَٰثُ عَوْرَٰتٍ لَّكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ وَلَا عَلَيْهِمْ جُنَاحٌۢ بَعْدَهُنَّ طَوَّٰفُونَ عَلَيْكُم بَعْضُكُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْأَيَٰتِ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴾ [النور: ٥٨]

فخرَّ عمر رضى الله عنه ساجداً شاكراً لله على هذه النعمة الكبرى إذْ تحقق له ما كان يتمنى ويرجو من المعاني السامية الكريمة.. فلا عجب أن مدحه الرسول ﷺ فقال: «إن الله جعل الحق على لسان عمر وقلبه. وهو الفاروق فرق الله به بين الحق والباطل».

ولما تولىَّ أبو بكر رضي الله عنه الخلافة كان عمر رضي الله عنه هو المستشار الأول له. وكان أبو بكر يرجع إليه في مهام الأمور ويحيل عليه القضايا ليفصل فيها. فلما فاجأه المرض وأحسَّ بقرب أجله أدرك أن عمر هو رجل الساعة فسلَّمه الأمانة وعهد إليه بالخلافة.

العهد لعمر رضي الله عنه بالخلافة:

يذكر الرواة أن أبا بكر رضي الله عنه استشار أصحابه وذوى الرأى من المسلمين في أمر البيعة لعمر رضي الله عنه فكانوا يقولون خيراً. فدعا عثمان ابن عفان رضي الله عنه وأملى عليه الكتاب الذي يعهد فيه لعمر رضي الله عنه بالخلافة فقال: «اكْتُبُ. بسم الله الرحمن الرحيم. هذا ما عهد به أبو بكر بن أبي قحافة في أواخر عهده بالدنيا خارجاً منها. وعند أول عهده بالآخرة داخلاً فيها. حيث يؤمن الكافر ويُوقِن الفاجر ويصدق الكاذب.

إني استخلفتُ عليكم بعدي عمر بن الخطاب فاسمعوا له وأطيعوا.. فإن عدل فذلك ظنَّي به وعلمي فيه، وإن بَدَّل فلكل امرىء ما اكتسب. والخير أردتُ ولا أعلمُ الغيب. وسيعلم الذين ظلموا أي منقلب ينقلبون. والسلام عليكم ورحمة الله..» ثم أمر بالكتاب فختمه. ثم أمر عثمان رضى الله عنه فأعلنه للناس فبايعوا عمر رضى الله عنه ورضوا به.. ثم دعا أبو بكر رضي الله عنه عمر رضي الله عنه فأوصاه بما أوصاه فلما خرج من عنده رفع أبو بكر رضي الله عنه يديه متوجِّهاً إلى الله وقال: «اللهم إني لم أرِدْ بذلك إلا صلاحهم وخفتُ عليهم الفتنة فاجتهدت ووليت عليهم خيرهم. وأقواهم عليهم وأحرصهم على ما يرشدهم. وقد حضرني من أمرك ما حضر فاخلفني فيهم فُهمْ عبادك ونواصيهم بيدك.. أصلح اللهم وإليهم واجعله من خلفائك الراشدين. وأصلح له رعيته».

وبذلك يتبينَّ لنا أن أبا بكر رضي الله عنه لم يُعيِّنْ عمر رضي الله عنه إلا بعد أن أخذ رأي كبار المسلمين فيه وأقروا بيعته. وأن المسلمين قد اطمأنوا ووافقوا على هذا الاختيار ولم يعارضوا فيه.

وهكذا أعطى المسلمون وعلى رأسهم الصديق رضي الله عنه القوس لباريها وَوُسد الأمر إلى خير المسلمين بعد رسول الله ﷺ وأبي بكر رضي الله عنه.

تسلم الفاروق رضي الله عنه الأمانة، وحمل الراية ليواصل بناء الدولة المسلمة وقيادة كتائب الجهاد لإعلاء كلمة الله تعالى.

الفتوح الإسلامية في عهد عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ :

اتجهت عناية الفاروق رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ نحو مواصلة الجهاد ونشر الإسلام والاستمرار في حركة الفتح الذي بدأ في عهد أبي بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في بلاد الفرس والروم.. فأما في بلاد الفرس فقد تركها خالد بن الوليد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في أواخر عهد أبي بكر رضى الله عنه وذهب لنجدة إخوانه أمام جيوش الروم حيث تم النصر للمسلمين في موقعة اليرموك وما تلاها من مواقع في بلاد الشام، وبقيت إمرة الجيش للمثنى بن حارثة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في ميدان الفرس بعد أن تركها خالد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

ولما تولى عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ الخلافة كان لابُدَّ له أن يُتم الشوط الكبير الذي بدأه أبو بكر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ فأخذ يعد العدة لفتح العراق وبلاد الفرس وأعلن التعبئة العامة واستنفر الناس للجهاد في سبيل الله.

فتح العراق وبلاد الفرس :

وجَّه عمر بن الخطاب رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ همه لفتح العراق وبلاد الفرس بعد أن اطمأن على سلامة وضع الجيش الإسلامي في بلاد الشام وعرف أن الروم قد هزموا في موقعة اليرموك وأن المسلمين ينتقلون من نصر إلى نصر.

وقد بلغ من أهمية هذا الأمر (وهو فتح العراق وفارس) في نظر الخليفة أنه رغب في أن يقود الجيوش بنفسه، ولكن جمهرة المسلمين أشارت عليه أن يقيم ويندب لذلك رجلاً من كبار الصحابة فوافق عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ على ذلك واستقر الرأي على سعد بن أبي وقاص رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ.

وعلى الرغم من ثقة عمر رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ في إخلاص سعد رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ وإيمانه وكفايته لما أسند إليه من إمرة وقيادة فقد رسم له المنهج السليم بتلك الوصية الرائعة التي جاء فيها: «يا سعد، لا يَغُرَّنَّكَ من الله أن قيل خالُ رسول الله وصاحبُ رسول الله ﷺ فإن الله لا يمحو السيىء بالسيىء ولكنه يمحو السيىء بالحسن، وليس بين الله وبين أحد نسبٌ إلا طاعته، فالناس شريفهم ووضيعهم في ذات الله سواء، الله ربهم وهم عباده، يتفاضلون بالعافية ويدركون ما عنده بالطاعة. فانظر الأمر الذي رأيت رسول الله ﷺ يلزمهُ فالْزَمْهُ».

موقعة القادسية سنة ١٤هـ :

قصد سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه إلى العراق وهي - حينئذ - جزء من دولة الفرس الكبرى. وكان خير مثال للقيادة السديدة والسياسة الرشيدة المؤمنة. وقد أثمرت هذه السياسة ثمرتها المرجوّة في تقوية الصفوف وربط القلوب ونشر التعاون والتضامن.. فنزل سعد رضي الله عنه أرض القادسية ومعه ثلاثون أو خمسة وثلاثون ألفاً من المجاهدين المؤمنين منهم حوالي ثلاثمائة من الصحابة الكرام رضى الله عنهم، وحوالي سبعمائة من أبناء الصحابة رضى الله عنهم. ومكث فيها شهراً يبعث السرايا[١] ويستطلع الأحوال.

ولما أحس الفرس بالخطر القادم عليهم جمع ملكهم (يزدجرد) جيشاً كثيفاً قدّره المؤرخون بثمانين ألفاً من الجنود المدربين في أحسن عدة وسلاح ولكنهم كانوا بقلوب خاوية خربة. وكان قائدهم عسكرياً مجرباً هو (رستم) وكان مع جيش الفرس ثلاثة وثلاثون فيلاً يتقدمها فيل أبيض.

عزة المسلمين :

لما تواجه الجيشان طلب رستم من سعد رضي الله عنه أن يبعث إليه برجل عاقل عالم يسأله، لأنه كان متعجباً من هؤلاء العرب ما الذي غيّرهم وقد كانوا خاضعين للفرس وكانت ترضيهم كميات من الطعام حين يجوعون ويهاجمون. فبعث إليه سعد رضي الله عنه رجالاً من الصحابة رضي الله عنهم كان منهم ربعي بن عامر رضي الله عنه فدخل عليه وقد زينوا مجلسه بالنمارق المذهّبة ومفارش الحرير وأظهروا اليواقيت واللآلىء الثمينة والزينة العظيمة وعليه تاجه الذي يبهر الأبصار وقد جلس على سرير من ذهب، ودخل ربعي رضي الله عنه بثياب رثة وسيف وترس وفرس قصيرة، فلما رأى زينتهم وانتفاخهم أراد أن يهينهم ويظهر استخفافه بمظاهرهم الكاذبة فدخل بفرسه راكباً عليها حتى داس بها على طرف البساط ثم نزل وربطها ببعض وسائدهم الثمينة، وأقبل عليهم رافع الرأس ثابت الخطا وعليه سلاحه ودرعه وخوذته على رأسه فقالوا له: ضع سلاحك فقال بعزة: إني لم آتكم وإنما دعوتموني فإن تركتموني هكذا وإلا رجعت.

(١) السرية : قطعة من الجيش بين خمسة جنود وثلاث مئة ، أو من الخيل نحو أربع مئة.

فقال رستم: إئذنوا له فأقبل يتوكأ على رمحه فوق النمارق فخرق أكثرها فقالوا له: ما جاء بكم؟ فقال: الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها، ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام. فأرسلنا بدينه إلى خلقه لندعوهم إليه فمن قبل ذلك قبلنا منه ورجعنا عنه ومن أبى قاتلناه أبداً حتى نفضي إلى موعود الله.

قال: وما موعود الله؟ قال: الجنة لمن مات على قتال من أبى، والظفر لمن بقى. فطلب رستم الإمهال فأبوا أن يمهلوه أكثر من ثلاثة أيام، ومال إلى قول المسلمين ولكنه خاف من قومه، ثم جاءه المغيرة بن شعبة رضي الله عنه فقال له رستم: قد أمرت لكم بكسوة ولأميركم بألف دينار وكسوة ومركوب وتنصرفون عنا. فقال المغيرة: أَبَعْدَ أن أوهنّا ملككم وضعفنا عزكم ولنا مدة نحو بلادكم ونأخذ الجزية منكم عن يد وأنتم صاغرون وستصيرون لنا عبيداً على رغمكم فلما قال ذلك استشاط غضباً.

وعزم المجوس والمسلمون على القتال، وكان سعد رضي الله عنه مصاباً بمرض أقعده على فراشه، ولكنه أصر على أن يكون في فراشه مشرفاً على ميدان المعركة يقودها ويوجهها، ثم قسم جيشه وأعده إعداداً جيداً ثم خطب في المسلمين رضي الله عنهم فوعظهم وحثهم وتلا عليهم قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِن بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ ﴾ [الأنبياء: ١٠٥].

وقرأ سورة الجهاد وهي سورة الأنفال فهشت قلوب الناس وعيونهم وعرفوا السكينة مع قراءتها ثم كبر أربعاً فحمل المسلمون بعد الرابعة على عدوهم واقتتلوا معهم قتالاً شديداً طول يومهم وأكثر ليلهم، واستمروا ثلاثة أيام عاني فيها المسلمون كثيراً من هذه الأفيال التي تُفْزِع خيُولَهم العربية التي لم تتعود رؤيتها، ولكن الأبطال المؤمنين دبروا مكيدة لهذه الأفيال فأهلكوها وذلك بأن ضربوا الفيل الأبيض في عينيه بالرماح فانطلق يتخبط ، ثم اتجه بمن عليه إلى النهر وتبعته الأفيال الأخرى بمن عليها فغرقوا وهلكوا. وذلك من توفيق الله وعنايته بعباده المؤمنين. وفي اليوم الرابع بعث الله ريحاً شديدة فدمرت معسكر المجوس وهربوا في كل اتجاه وقتل قائدهم، وقتل منهم عشرات الآلاف، وفقد المسلمون حوالي ألفين وخمس مئة شهيدٍ - إن شاء الله تعالى -.

عمر ورسول سعد :

بعث سعد بخُمْسِ الغنيمة مع البشارة إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وكان عمر رضي الله عنه يخرج كل يوم خارج المدينة على طريق العراق ينتظر الأخبار قلقاً خائفاً على المسلمين فبينما هو ذات يوم على عادته ينتظر في الطريق إذ رأى راكباً يلوح من بعيد فاستبشر واستقبله يسأله والراكب لا يعرفه وهو يمشي وعمر يركض خلفه، والراكب يقول: فتح الله على المسلمين وعمر يكثر السؤال وهو يتهلل من الفرح ويشكر الله ولما دخلا المدينة أخذ الناس يُسلِّمون على عمر رضي الله عنه بلفظ الخلافة وهو مسرع وراء الراكب فلما سمع الراكب ذلك توقّف ونزل من راحلته احتراماً وأسفاً على جهله بحقيقة مُحدِّثه وقال: يرحمك الله يا أمير المؤمنين هلا أعلمتني أنك الخليفة! فقال رضي الله عنه: لا حرج عليك يا أخي.

وجمع عمر رضي الله عنه المسلمين مستبشراً وقرأ عليهم كتاب سعد رضي الله عنه يصف المعركة الحاسمة ويصف الجند المجاهدين فيقول: (كانوا يَدْوُونَ بالقرآن إذا جن الليل كدوي النحل، وهم آساد في النهار لا تشبههم الأسود ولم يَفْضُل من مضى منهم من بقي إلا بالشهادة إذْ لم تكتب لهم).

وبهذه المعركة الفاصلة أيد الله سبحانه دينه ورفع كلمته وهابت العربُ والعجم المسلمين وانتشر هدى الإسلام وعدله وتقلص ظلام الكفر والشرك والحمد لله.

القادسية
سنة ١٤هـ / ٦٣٥م

المدائن
(طيسفون)
كشكان
سيمرة
تستر
الأنبار
عين تمر
بنو جديلة
بنو إياد
بنو تغلب
ساباط
دجلة
الخورنق
بابل
الجسر
قراقر
الحيرة
النجف
الكوفة
القادسية
ذوقار
البويب
من المدينة المنورة
أرض السواد
السعدية
السيبية
كسكر
المذار
الكرخة
أبيذير
الأهواز
الفرات
بكر
الأبلة
هور الحمار
الولجة
البصرة
بنو شيبان
شط العرب
قارون
ربيعة
طي

فتح المدائن سنة ١٦هـ :

بعد معركة القادسية واصل المسلمون بقيادة سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه الفتح ومضى سعد في طريقه في بلاد الفرس حتى فتح المدائن بعد أن حاصرها شهرين وكان ذلك في شهر صفر سنة ١٦ هـ وكان هذا الفتح صدمة عنيفة روَّعت الفرس وأفزعتهم إذْ كانت عاصمة بلادهم. وفيها نفائس الفرس العجيبة وفيها القصر الأبيض والإيوان. وكانا – حينئذ – من القصور الفريدة وقد وقعت في هذه المعركة آيات عظيمة من نصر الله وتأييده لعباده المؤمنين منها:

الأولى : أن المسلمين وقفوا حائرين أمام نهر دجلة الغزير العميق كيف يعبرونه وكان هائجاً يقذف بالزبد، فقام سعد رضي الله عنه في جيشه خطيباً وقال: ألا إني قد عزمت على قطع هذا البحر إليهم. فقالوا جميعاً: عزم الله لنا ولك فافعل، وكان رضي الله عنه مشهوراً باستجابة دعوته فدعا الله تعالي ودعا معه الجيش ثم توكلوا على الله وأقحموا خيولهم ذلك البحر، وكانت قد تقدمتهم كتيبتان لتبعد الفرس المجوس عن الجانب الآخر للنهر، وكان الفرس ينظرون إليهم في دهشة بالغة ويصيحون: ديوانا ديوانا أي مجانين مجانين. وكان الفرسان يسيرون على الماء كما يسيرون على الأرض يتحدثون مطمئنين ولم يُفْقَدْ منهم أحدُ ولا شيء أبداً وهرب الفرس ولحقهم المسلمون إلى المدائن وفتحوها وملكوا كنوزها التي لا تخطر على العقول. وكانت تلك الحادثة كرامة لسعد رضي الله عنه وجنده المؤمنين المجاهدين الصادقين بعد أن بذلوا ما يستطيعونه من أسباب.

والثانية : حين وَفَدَ رسُلُ سعد رضي الله عنه على عمر رضي الله عنه ومعهم كنوز كسرى وسواراه وبساطه بذهبه وفضته ولؤلؤه، دعا بسراقة بن مالك وألبسه سواري كسرى وقال: الحمد لله سوارا كسرى بن هرمز في يدي سراقة بن مالك بن جعشم - أعرابي من بني مدلج - وهو يشير بهذا إلى وعد رسول الله ﷺ لسراقة حين قابله ﷺ وهو مهاجر إلى المدينة معه أبو بكر رضي الله عنه وقال له وقد نظر إلى ذراعيه: (كأني بك يا سراقة وقد لبست سواري كسرى) فتحقق وعده ﷺ وهدم الإسلام امبراطورية الفرس المجوس وآلت كنوزها إليهم ليحق الله الحق ويبطل الباطل ولو كره الكافرون.

موقعة نهاوند «فتح الفتوح» سنة ٢١ هـ:

بعد أن فتح المسلمون المدائن عاصمة الفرس، أفزع ذلك النصر - الذي مَنَّ الله به على المسلمين - ملك المجوس «يزدجرد الثالث» فهام على وجهه كي يستنفر الناس، ويستنهض عزائمهم لحرب المسلمين، حتى استطاع ـ بعد أربع سنوات ـ أن يجمع جيشاً كبيراً يزيد عدده على مئة وخمسين ألف مقاتل.

لقد كانت المعركة في واقع الأمر بالنسبة للفرس معركة حياة أو موت، لذا فقد حشدوا لها كل ما لديهم من إمكانات.

علم المسلمون بما أعده يزدجرد، وأن فلول الفرس قد تجمعت في نهاوند، فبعثوا إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه يستأذنوه في المسير إلى نهاوند.

جمع الفاروق أهل الرأي والمشورة من وجوه أصحاب رسول الله ﷺ عملاً بمبدأ الشورىٰ، فاستشارهم في أمر الذهاب ليكون بنفسه قريباً من ميدان الجهاد وليكون ردءاً للمسلمين.

إلا أن ذلك لم يحظ بموافقة أهل الرأي من أصحاب رسول الله ﷺ. وحجتهم:

١ - أن المجاهدين لا يستصرخون ويطلبون العون من المدينة، وإنما أرسلوا يطلبون الإذن في الانطلاق من العراق بإتجاه نهاوند ومواصلة الفتح.

٢ - أن مكان عمر من المسلمين مكان النظام من الخرز، يجمعه ويمسكه، فإن انحل النظام، تفرق ما فيه ، وذهب ثم لا يجتمع أبداً، فكذلك إن أصاب أمير المؤمنين مكروه، فَتَّ ذلك في عضد المسلمين وأضعفهم.

٣ - أن المسلمين ليسوا في حاجة إلى من يُكَثِّر عددهم والنصر والهزيمة ليست لكثرة ولا قِلّة، والمسلمون على موعد من الله بالنصر والتمكين - ما داموا متمسكين بأمره، مطبقين لشرعه - والله منجز وعده وناصر جنده.

اقتنع عمر رضي الله عنه بما قاله أهل الرأي والمشورة ثم قال: «أشيروا علَّي برجل أُولِّيه ذلك الثغر غدا» - يعني نهاوند - .

قالوا : «أنت أفضل رأياً وأحسن مقدرة».

فقال : «أما والله لأولِّين أمرهم رجلاً ليكونَنَّ أول الأسنة إذا لقيها غداً».

فقيل : « من يا أمير المؤمنين»؟

قال : «النعمان بن مقرِّن».

فقالوا : «هو لها ».

أرسل الفاروق رضي الله عنه إلى النعمان بن مقرِّن رضي الله عنه يأمره بالمسير إلى نهاوند لمواجهة جموع المجوس هناك، وأوصاه بالمسلمين خيراً قال: « ... لا توطئهم وعراً فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم.. ولا تدخلنهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحب إلَّي من مئة ألف دينار..».

سار النعمان إلى حيث أمره الفاروق رضى الله عنهما حتى بلغ نهاوند، وجرت مناوشات بين المسلمين والمجوس فلما أحس المجوس بحرج موقفهم، تحصنوا داخل المدينة خلف الخنادق والأسوار.

استدراج المسلمين للمجوس خارج حصونهم :

خشي النعمان رضي الله عنه أن يطول الحصار، لأن المجوس لا يجرءون على الخروج لمواجهة المسلمين، فجمع أهل الرأي والمشورة واستشارهم في الأمر الذي يخرج المجوس من حصونهم لمناجزتهم.

فأشار عليه طليحة بن خويلد رضي الله عنه بأن يرسل طليعة من المسلمين، تستفز المجوس، وتغيظهم، فإذا ما غضوا خرجوا لمواجهتها، وعندها يظهر المسلمون الانهزام أمام المجوس مما يجعل المجوس يلاحقونهم ظناً منهم أنهم هزموا، فإذا ما وصلت الطليعة المسلمة إلى بقية المسلمين أظهروا الانهزام كذلك، حتى يبعد المجوس عن حصونهم وخنادقهم، عندها يكر المسلمون عليهم، ويحملون «حتى يقضي الله فيهم وفينا ما أحب» بهذه الكلمة ختم طليحة كلامه.

وأقر الجميع هذا الرأي بعد أن اقتنعوا بجدواه، ثم أمر النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ القعقاع بن عمرو رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليقوم مع نخبة من المسلمين بهذه المهمة.

وقد نجحت الخطة واستطاع القعقاع ومن معه أن يستدرجوا المجوس والقعقاع يتراجع أمامهم فيصيحون «هي.هي» يعني الهزيمة.

أخذ المجوس يطاردون القعقاع ومن معه حتى وصلوا إلى معسكر المسلمين، واستكمالا لخطة الاستدراج تراجع المسلمون حتى لم يشك المجوس في هزيمتهم فأمعنوا في المطاردة حتى بعدوا عن نهاوند.

عندها كر المسلمون عليهم، وثبتوا في مواقعهم ينتظرون الإذن من القائد ببدء القتال، وكان النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قد أمرهم أن لا يبدأوا القتال حتى يأذن لهم بذلك.

وأخذ المجوس يرمون المسلمين حتى اثخنوهم بالجراحات والمسلمون ينتظرون الإذن من قائدهم.

قد يقول قائل: وماذا ينتظر النعمان وقد اثخن المسلمون بالجراح؟ لم لم يأذن لهم؟

وهنا نترك الإجابة للنعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إذ يقول: «ما منعني من أن أناجزهم - يعني المجوس - إلا شيء شهدته من رسول الله ﷺ أن رسول الله كان إذا غزا فلم يقاتل أول النهار، لم يعجل حتى تحضر الصلاة - صلاة الظهر - وتهب الأرواح - الرياح - ويطيب القتال، فما منعني إلا ذلك».

كان النعمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يدرك أن المسلمين إنما ينصرون على أعدائهم بطاعتهم لله واتباعهم رسوله ﷺ واهتدائهم بهديه، لذلك أراد أن لا يبدأ القتال حتى تزول الشمس اقتداء بفعل رسول الله ﷺ.

بدء القتال وسير المعركة :

لما قربت ساعة الزوال حدد النعمان لجنده لحظة القتال، حيث سيكبر ثلاث تكبيرات يكون بدء القتال بعد الثالثة، بعد أن يكونوا قد أخذوا أهبتهم لذلك.

ثم قال النعمان رضي الله عنه: «اللهم أعزز دينك، وانصر عبادك، واجعل النعمان أول شهيد اليوم على إعزاز دينك ونصر عبادك، اللهم أني أسألك أن تُقرّ عيني اليوم بفتح يكون فيه عز الإسلام، - ثم التفت إلى المسلمين وقال - : أمنوا يرحمكم الله».

فبكى الناس، وكيف لا يبكون قائداً كالنعمان أيقنوا برحيله عنهم. إذ أن النعمان كان مستجاب الدعوة.

كما أن كلمات النعمان هذه أذكت روح الاستبسال في جنده، فصاروا كلهم يطلب الشهادة، وخيم على المسلمين جو روحاني.

يقول المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: «والله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظهر».

كَبَّر النعمان رضي الله عنه التكبيرة الأولى فاستعد المسلمون وتأهبوا ثم كبر الثانية فلم يبق لأحد أهبة فلما كبر النعمان الثالثة اندفع المسلمون وفي مقدمتهم النعمان، يقول ابن كثير رحمه الله «وجعلت راية النعمان تنقض على الفرس كانقضاض العقاب على الفريسة حتى تصافحوا بالسيوف، فاقتتلوا قتالاً لم يعهد مثله في موقف من المواقف المتقدمة، ولا سمع السامعون بوقعة مثلها؛ قتل من المشركين ما بين الزوال إلى الظلام من القتلى ما طبق وجه الأرض دماً..».

فلما لاحت بوادر النصر، زلفت فرس النعمان به فوقع، وجاءه سهم في خاصرته، وبذلك نال الشهادة التي طلبها ودعا الله أن ينيله إياها، وكان أول الأسنة وفي مقدمة الصف كما توقع منه عمر بن الخطاب رضي الله عنه، استشهد النعمان وقد قرَّ عينا بعد أن لاحت بوادر النصر.

ولكن هل تسقط راية الإسلام، التي كان يحملها النعمان؟ هل تسقط بموته؟ كلا.

فها هو نعيم بن مقرن رضي الله عنه، يسارع إلى حملها، ويسلمها إلى حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، وأخفي نبأ استشهاد النعمان عن جنده لئلا يفت في عضدهم، فقد كانوا يكنون له صادق الحب. وتسلَّم حذيفة الراية، وكان عمر رضي الله عنه قد عينه في القيادة خلفا للنعمان في حال استشهاده، ليقود المسلمين خلفاً للقائد الشهيد.

انتهت المعركة بانتصار المسلمين، وانطلق البشير يحمل البشرى إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

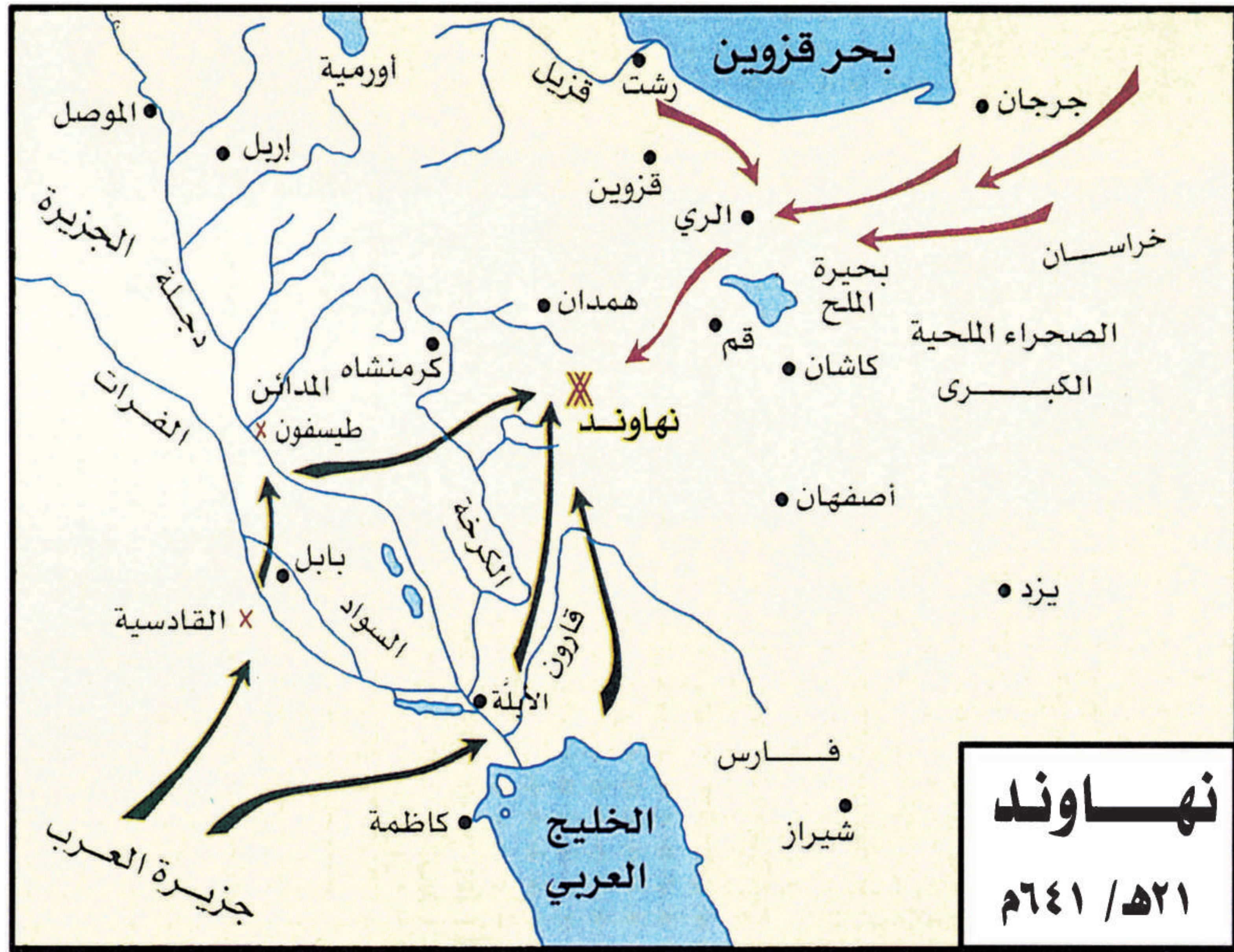
قال : ابشر يا أمير المؤمنين ، بفتح أعزَّ الله به الإسلام، وأذل به الكفر وأهله.

فحمد عمر الله عز وجل، ثم قال: آلنعمان بعثك؟

قال البشير: احتسب النعمان يا أمير المؤمنين . فبكى عمر واسترجع وقال: وَمَنْ ويحك؟

قال البشير: فلان وفلان.. وآخرين يا أمير المؤمنين لا تعرفهم.

فبكى عمر وقال : لا يضرهم ألا يعرفهم عمر ولكن الله يعرفهم، وقد أكرمهم الله بالشهادة، وما يصنعون بمعرفة عمر؟


نهاوند
٢١هـ/ ٦٤١م
بحر قزوين
جرجان
رشت
قزيل
أورمية
الموصل
إربل
قزوين
الري
خراسان
بحيرة الملح
الجزيرة
دجلة
همدان
قم
الصحراء الملحية الكبرى
كرمنشاه
كاشان
المدائن
طيسفون
الفرات
نهاوند
أصفهان
الكرخة
بابل
يزد
القادسية
السواد
قارون
الأبلة
فارس
شيراز
كاظمة
الخليج العربي
جزيرة العرب

دروس من نهاوند :

هكذا انتصر المسلمون في نهاوند، ولعلنا نذكر بعضاً من الدروس والعبر من هذه الموقعة. فمنها:

١ - أن التزام شرع الله والاهتداء بهدي رسوله ﷺ، يأتي دائماً وأبدا في مقدمة العوامل والأسباب الجالبة للنصر (من أين أخذنا هذا الدرس في معركة نهاوند؟) فإذا فرط في ذلك المسلمون وأهملوه وعملوا بمعاصي الله وتركوا شرعه عندها لا ينتصرون.

٢ - قيادة مؤمنة واعية، وجند مخلص تقي كلهم يفدي دين الله بنفسه وأهله وماله (راجع دعاء النعمان، وكلمة المغيرة بن شعبة): «والله ما علمت من المسلمين أحداً يومئذ يريد أن يرجع إلى أهله حتى يقتل أو يظفر».

٣ - الطاعة والانضباط من الجند حيث إن المسلمين لم يبدأوا القتال حتى أذن لهم قائدهم، رغم أن الفرس أثخنوهم.

٤ - الرحمة والبر من القائد بجنده «لا توطئهم وعراً فتؤذيهم، ولا تمنعهم حقهم».

٥ - أن الفرد المسلم هو ثروة الأمة الحقيقية والقائد الصالح لا يفرط فيه ولا يعرضه للمهالك في غير ما مصلحة للإسلام والمسلمين ولنتأمل كلمة القائد المسلم الفاروق « ... ولا تدخلنهم غيضة، فإن رجلاً من المسلمين أحبُّ إليّ من مئة ألف دينار» يا لله يا عمر ما أروع هذا الحب بين القائد وجنده، وبين الراعي ورعيته.

نتيجة المعركة :

لعل أهم نتائج هذه المعركة أنه لم تقم بعدها للمجوس قائمة وتتابع الفتح الإسلامي لبلاد فارس، ففتحت همدان، والري، وقومس، وجرجان، وطبرستان، ولا زال الفتح يتتابع، حتى قتل آخر ملوك المجوس «يزدجرد» في أيام الخليفة الراشد: ذي النورين عثمان بن عفان رضي الله عنه وذلك عام ٣١هـ، فلا غرو أن تسمى هذه المعركة «فتح الفتوح».

وهكذا تمزق مُلْكُ كسرى، في مدة وجيزة وكان ذلك استجابة من الله تعالى لدعاء نبيه ﷺ وذلك حين علم أن كسرى مَزَّق رسالته التي أرسلها ﷺ يدعوه فيها إلى الإسلام.

قال تعالى:

﴿وَكَمْ قَصَمْنَا مِن قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا ءَاخَرِينَ﴾ [الأنبياء: ١١].

أثر الفتح الإسلامي في بلاد الفرس :

كان انتصار المسلمين على الفرس مبدأ عهد جديد في تاريخهم فلقد حمل المسلمون الفاتحون معهم مبادىء الإسلام خالصة نقية إلى هذه البلاد وطبقوا أحكامه بين الناس، فسعد به فقيرهم وغنيهم، واسترد المظلومون حقوقهم فأبصروا النور بعد طول ظلام وانتشر علم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ فاستقامت العقائد والأعمال، وسادت العدالة الإسلامية، والأخلاق القويمة.

فتوح الشام :

فتح دمشق وما حولها :

بعد النصر الحاسم الذي منَّ الله به على المسلمين في معركة اليرموك واصل المسلمون بقيادة أبي عبيدة عامر بن الجراح بأمر من الخليفة الفاروق رضى الله عنهما عملية الفتح في بلاد الشام وكانت الخطوة الأولى بعد اليرموك باتجاه مدينة دمشق. اتجه أبو عبيدة إلى دمشق بعد أن نظم جنده فجعل على قلب الجيش قائداً هو خالد بن الوليد رضي الله عنه وسار هو في الميسرة وجعل على الميمنة عمرو بن العاص رضي الله عنه وصل المسلمون إلى دمشق وحاصروها كما استطاع خالد بن الوليد اقتحامها من الباب الذي كان محاصراً له عند ذلك جنحوا إلى الصلح واستسلموا للمسلمين وكان ذلك في سنة ١٣هـ أي في العام الذي انتصر فيه المسلمون باليرموك، ثم توالت فتوح المسلمين بعد ذلك ففتحوا حمص. وحماة، وحلب، وصارت مدن الشام تفتح تباعاً ولم يلقوا مقاومة شديدة إلا في أجنادين. ثم كتب الله لهم النصر في سنة١٥هـ.

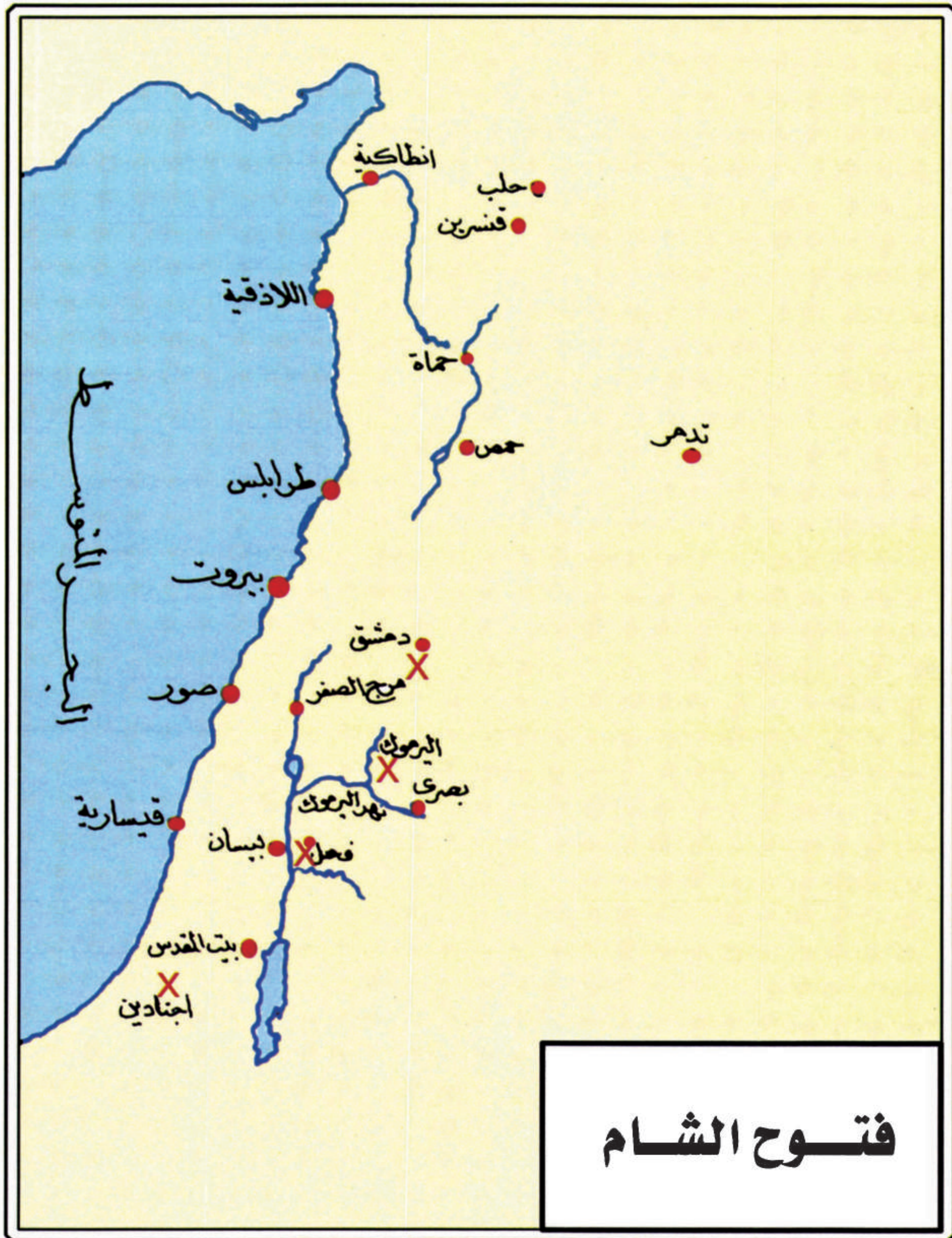
فتح بيت المقدس :

وَلَّى المسلمون وجوههم نحو بيت المقدس حتى وقفوا أمام أسوارها الحصينة. واستمروا في حصارها أربعة أشهر كاملة وتكبدوا في هذا الحصار خسائر كبيرة ولكنهم لم ييأسوا حتى أرغموا بطريق بيت المقدس على الصلح والتسليم، وقد اشترط البطريق أن يتولى عمر بنفسه كتابة شروط الصلح فحضر عمر رضي الله عنه وتسلَّم المدينة وكان ذلك في سنة ١٦هـ وكان فتح هذه المدينة له مغزاه الديني العميق. فهي البلد الذي يعظمه المسلمون بعد مكة والمدينة فإليها أسري برسول الله ﷺ وفيها المسجد الأقصى وهو أولى القبلتين وثالث المساجد التي تشدُّ إليها الرحال. وهكذا ارتبط تاريخ القدس بالإسلام منذ أن فتحها عمر بن الخطاب رضي الله عنه بل منذ أن أسري برسول الله ﷺ إليها، كما قال تعالى :

﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ﴾ [الإسراء : ١]

لتظل القدس إسلامية، قد يفرط فيها المسلمون في فترة من فترات تاريخهم، ولكن يبقى إحساس المسلمين بهذه الحقيقة دافعاً لهم لاستردادها كلما ضاعت، فهل يتذكر المسلمون اليوم هذه الحقيقة؟.

وبفتح القدس تم للمسلمين فتح بلاد الشام بعد جهود جبارة وتضحيات جسيمة، حتى لقد بلغ عدد الشهداء خمسة وعشرين ألفاً، ولكن مهما عظمت التضحية في سبيل الله فهى قليلة، ومهما أشتد البلاء في هذا السبيل فهو ضئيل وما عند الله خير وأبقى..



فتـــوح الشـــام

فتح مصر :

كانت مصر في ذلك الحين من ممتلكات الروم، وكانت تدين بالنصرانية وهي الديانة التي يعتنقها الروم، ولكن الروم كانوا يسيئون إلى المصريين على الرغم من اتحادهم في الدين، فكانوا يرهقون الشعب المصري بفرض الضرائب الفادحة. حتى لقد وصل الأمر بهم أن فرضوا الضرائب على الموتى فلا يسمحون بدفن الميت إلا بعد أن يدفع أهله ضريبة معينة، وهذه الحالة السيئة التي كان يعانيها المصريون جعلت قلوبهم تنفر من حكم الروم وأصبحوا يتمنون الخلاص من حكمهم حتى ترتفع عنهم تلك المظالم، وقد سَرَّهم ما علموه من استيلاء المسلمين على الشام وحسن سيرتهم فيها وفي جميع البلاد التي فتحوها، فتمنوا أن يفتح الله مصر لهؤلاء المسلمين حتى تتجلى عنهم الغمة ويستظلوا بلواء العدل والإنصاف. وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه قد رأى مصر في رحلة من رحلاته أيام جاهليته وعرف ما يعانيه أهلها من ظلم الرومان. زِدْ على ذلك ما يعرفه عمرو من أهمية فتح مصر لما لها من موقع ممتاز يمكن أن يصير منطلقاً لنشر الدين في أرض الله الواسعة.. ومن أجل ذلك أرسل عمرو بن العاص - وكان حينئذ أحد القادة في فتح الشام - أرسل عمرو إلى الخليفة يستأذنه في فتح مصر ويلحُّ عليه فأذن له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بذلك.

كيف تم الفتح ؟

سار عمرو بن العاص متجهاً من الشام إلى مصر وكان معه من جنود المسلمين أربعة آلاف، واخترق بهم رمال سيناء حتى وصل إلى العريش في آخر سنة ١٨هـ وفتحها دون مقاومة حيث لم يكن بها حامية رومية ثم سار حتى وصل إلى «الفرما»[١] فحاصرها شهراً ونصف شهر حتى تم له فتحها في أول سنة ١٩هـ وكان أهل مصر يساعدون المسلمين في هذا الحصار ثم تقدم عمرو إلى (بلبيس) فاستولى عليها بعد شهر لم ينقطع فيه القتال. ثم سار إلى «أم دنين»[٢] حيث نشب القتال وتحصن الروم في حصن بابليون وكان من أمنع الحصون.

---

(١) موقعها الآن مدينة بور سعيد. على البحر المتوسط .

(٢) موقعها الآن قرب محطة سكة حديد القاهرة.

الفتح الإسلامي لمصر
البحر الأبيض المتوسط
بحيرة البرلس
بحيرة المنزلة
الإسكندرية
بحيرة مريوط
دمنهور
سخا
سمنود
دمسيس
الفرما
منوف
بلبيس
بحيرة التمساح
البحيرات المرة
عين شمس
(هليوبوليس)
حصن بابليون
بحر القلزم

وقد وقف المسلمون حوالي سبعة شهور أمام هذا الحصن حتى وصلهم مددٌ جديد من الخليفة قوامه أربعة آلاف جندي آخرين واستطاعوا بعد جهاد عظيم أن يفتحوا هذا الحصن وكان ذلك سنة ٢٠هـ، ثم اتجهوا بعد ذلك إلى «الاسكندرية» وهي ـ حينئذ عاصمة الديار المصرية ـ ، وقد حشد الروم كل جهودهم لإنقاذ تلك المدينة من أيدي المسلمين حتى بلغت حاميتها حوالي خمسين ألفاً مزوَّدين بالمؤن الوفيرة والعُدَد الكثيرة، والمسلمون لا يبلغون ربع هذا العدد، وقد طال أمد القتال إلى أربعة أشهر ثم عقد عمرو بن العاص اللواء لعبادة بن الصامت رضي الله عنه ففتح الله على يديه الاسكندرية وتمكن من هزيمة الروم براً وبحراً. وبذلك صارت مصر ولاية إسلامية.

أثر الفتح الإسلامي في مصر:

كان للفتح الإسلامي أثر عظيم على أهالي مصر الذين شعروا من أول يوم بالفارق الكبير بين عهدين. عهدٍ كان مليئاً بالظلم والقسوة. وعهد تسود فيه العدالة الكاملة والإنصاف الشامل. ولا غرو فقد أزال عمرو رضي الله عنه الضرائب عنهم وطبق فيهم أحكام؛ الشريعة الإسلامية فَأَمِنُوا على أنفسهم ونسائهم وأولادهم، لقد حرر الإسلام الناس وأشعرهم بمعنى الكرامة الإنسانية، فها هو القبطي الذي كان الروم يلهبون ظهره بالسياط، فلا يرد، لأنه لا يعرف للكرامة الإنسانية أي معنى؛ ها هو يثور لكرامته، بعد أن أدرك قيمتها، فلا يقبل الإهانة التي تلقاها على يد ابن حاكم مصر – عمرو بن العاص رضي الله عنه بعد أن تسابقا على الخيل فسبق القبطيُ ابنَ عمر، فلطمه ابنُ عمرو، فاشتكى القبطي إلى أمير المؤمنين – الفاروق – بعد أن تكبد وعثاء السفر، من أجل الانتصار للكرامة فكان له ما أراد وتم إنصافه واقتُص له من ابن الحاكم. ثم قال عمر: كلمته الخالدة: «متى استعبدتم الناس، وقد ولدتهم أمهاتهم أحراراً» هذه هي عدالة الإسلام، وهذه هي الحرية والكرامة التي أرادها الإسلام للناس.

ولم تقتصر أعمالهم على ذلك. بل أعادوا الأمن والنظام إلى البلاد وقاموا بإصلاحات عظيمة. فحفروا الترع وبنوا مقاييس النيل. وأنشؤوا الأحواض والقناطر والجسور فتحسنت ثروة الأهالي وساد الرخاء بينهم.

أهم إصلاحات عمر بن الخطاب رضي الله عنه:

في الوقت الذي كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه يوجِّه فيه الجيوش لإعلاء كلمة الله وتوسيع رقعة الدولة الإسلامية كان - كذلك - يتطلع إلى تلك الرقعة التي بسط الإسلام عليها رواقه فيصفِّيها من شوائب الماضي وأوزاره، وينشر في ربوعها مبادىء الإسلام وآدابه. وكان يعامل الرعية من عرب وعجم على أساس واحد. وقد كتب إلى عماله في جميع الأمصار بذلك فقال: «اجعلوا الناس عندكم سواء قريبهم كبعيدهم وبعيدهم كقريبهم» وكتب إلى أبي موسى الأشعري وكان عامله على البصرة فقال: «أما بعد فإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته، إيَّاك أن ترتع فيرتع عمالك فيكون مثلك كمثل البهيمة نظرت إلى خضرة من الأرض فرتعت فيها تبتغي بذلك السِّمَن وإنما حَتْفُها في سمنها».

ولقد كان من أهم أعماله وإصلاحاته أنه أخذ في تقوية الثغور وتنظيم داخلية البلاد فدوَّن الدواوين، ووضع السجلات لحساب كل مقصر. وجعل للشؤون الاقتصادية ديواناً للتفتيش على أعمال التجار حتى يكون الناس في مأمن من الغِشِّ، ووضع نظام الحِسْبة لمراقبة الأسواق والنظر في المكاييل والموازين ولم يترك ثغرة ولا مجالاً للتلاعب في أقوات الناس وأرزاقهم بفضل الله ثم بفضل الرقابة الحازمة التي لا تعرف إلا الحق وحده، وأقام داراً للضيافة، ورتّب لها مالاً لمن انقطع به الطريق، ومنع التسَوُّلَ وفرض لذوي العاهات راتباً في بيت المال. حماية لهم من ذل السؤال وهكذا كان عمر رضي الله عنه يمثل العدالة الاجتماعية الكاملة المستمدة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

بناء المدن :

في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه تم بناء ثلاث مدن:

١ - في العراق:

(أ) مدينة «البصرة» أسسها عتبة بن غزوان رضي الله عنه بأمر من الفاروق رضى الله عنه سنة ١٤هـ.

(ب) مدينة الكوفة أسسها سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه بعد أن جاءه أمر الفاروق رضي الله عنه: (اتَّخِذْ للمسلمين دار هجرة ومدينة يسكنوها، ولا تجعل بيني وبينهم بحراً) فأسس سعد الكوفة وكان ذلك سنة ١٧هـ.

٢ - وفي مصر أسس عمرو بن العاص رضي الله عنه مدينة الفسطاط سنة ٢٠هـ.

ولم تلبث هذه المدن حتى غدت من أهم الحواضر الإسلامية ومراكز التوجيه فيها، بل كانت الكوفة في عهد الخليفة الراشد علي رضي الله عنه هي عاصمة الدولة المسلمة.

وهكذا كان المسلمون يدركون أهمية عمارة الأرض وبناءها، لقد كانوا يعمرون الأرض المفتوحة، ويقومون بإصلاحها.

فلم تكن حركة الفتح الإسلامي حركة إفساد وتخريب، كما هي الحال بالنسبة للحروب الجاهلية التي لا يتورع أصحابها عن إبادة مدن بكاملها، حتى في عصرنا هذا الذي يقال عنه إنه عصر الحضارة والرقي، (ماذا تعرف عن هيروشيما ونجازاكي؟) لقد كانت حركة الفتح الإسلامي، حركة تشييد وبناء، بناء للإنسان بالايمان والأخلاق الفاضلة، وبناء للأرض بإصلاحها وعمارتها، وتوفير أسباب الرخاء والطمأنينة والاستقرار فيها.

التأريخ الهجري :

كان عمر رضي الله عنه يعي حقيقة الإسلام وتفرده كما تَعَلَّم بين يدي الرسول ﷺ أن للمسلم تميزه واستقلاله عن غيره، في عقيدته، وفكره، وسلوكه.

انطلاقاً من هذه الحقيقة أراد أن يختار للمسلمين تأريخاً يؤرخون به بعد أن رأى ضرورة التأريخ، وحاجة المسلمين القصوى إليه لضبط معاملاتهم على أن ينبثق هذا التأريخ من إسلامهم، وينسجم مع شخصية المسلم المتفردة.

استشار الفاروق رضي الله عنه المسلمين، ليرى رأيهم حول هذا الأمر، فرأوا أهميته، واقترح البعض أن يؤرخ بمولد الرسول ﷺ فردَّه الفاروق رضي الله عنه وذلك لأن المسلم لا يرتبط بمولد إنسان، ولو كان مولد الرسول ﷺ واقترح آخر التأريخ بمبعثه ﷺ ، فلم يقبل عمر ذلك مع أهمية بعثته ﷺ وبُعْدِ أثرها في حياة البشرية.

أما الرأي الذي أعجب الفاروق رضي الله عنه وأخذ به فهو ما رآه علي رضي الله عنه حيث رأى أن يكون التأريخ «من يوم هاجر رسول الله ﷺ وترك أرض الشرك»، وذلك لأنه بالهجرة قام للإسلام دولة تحفظه - بتوفيق الله - وتذود عنه وتبلغ دعوته للعالمين، ولقد كانت الهجرة مبدأ عهد جديد وانطلاق إلى آفاق رحبة، بدأه المسلمون لينشروا الإسلام ويفتحوا به القلوب قبل البلدان.

وقد بدأ العمل بالتأريخ الهجري في السنة السادسة عشرة من الهجرة، واتفق المسلمون على أن يكون أول السنة الهجرية هو بداية شهر الله المحرم.

وبعد : فما أحوج المسلمين اليوم وقد هجر أكثرهم، بل جهل التأريخ الهجري، ما أحوجهم إلى أن يعودوا إلى أصالتهم فيؤرخوا بالتأريخ الهجري بما يحمله من ذكريات مجيدة، بل وبما يعنيه ذلك من ارتباط بعبادتهم لربهم فبالتأريخ الهجري يعرف المسلمون مواقيت الصيام والحج، وبه يحافظون على تميزهم وتفرد شخصيتهم، إن أمة الإسلام أمة لها تاريخ ولها حضارة فهل تهجر ذلك كله لتستجدي من الأمم الأخرى تاريخها وحضارتها؟

رحم الله الفاروق فكم له من أيادٍ بيضاء ومآثر خالدة رضي الله عنه وأرضاه.

استشهاد عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

شاء الله أن يستجيب دعاء الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فقد ثبت عنه في الصحيح أنه دعا الله تعالى فقال: «اللهم إني أسألك شهادة في سبيلك، وموتاً في بلد رسولك ﷺ فاستجاب الله دعاءه وجمع له بين الأمرين. فكان استشهاده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على يد أبي لؤلؤة المجوسي مولى المغيرة بن شعبة وقد تَرَصد له هذا المجرم الأثيم في صلاة الفجر في مسجد رسول الله ﷺ وهو قائم يصلي في المحراب فتسلل بين الصفوف وفي يده خنجر له رأسان[1] فضرب عمر ست ضربات إحداهن تحت سُرَّته وهي التي قتلته[2].. فلمَّا وجد عمر حر السلاح سقط فتقدم عبد الرحمن بن عوف بأمر عمر فصلى بالناس صلاة خفيفة وعمر طريح، ثم حملوه إلى داره، والدم يسيل من جرحه، فجعل يفيق ثم يغمى عليه، ثم يذكرونه بالصلاة فيفيق، ويقول: نعم، ولاحَظَّ في الإسلام لمن تركها. ثم صلى في الوقت، ثم نادى عبد الله بن عباس وقال: اخرج فانظر من قتلني، قال: يا أمير المؤمنين، قتلك أبو لؤلؤة (المجوسي) غلام المغيرة بن شعبة فحمد الله أن قتله رجل غير مسلم. وقال: الحمد لله الذي لم يجعل منيَّتي على يد رجل سجد لله سجدة واحدة.

ثم دعى له بالطبيب فلم يجد للقضاء حيلة، وتوفي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ليلة الأربعاء لثلاث بقين من ذي الحجة سنة ٢٣هـ ودفن رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ صباح الأربعاء في حجرة عائشة مع صاحبيه (الرسول الكريم ﷺ وأبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ) وكان عمر قد أرسل وهو في لحظاته الأخيرة إلى السيدة عائشة يستأذنها أن ينال شرف الدفن إلى جوار صاحبيه في حجرتها فأذنت عائشة بذلك، وكانت مدة خلافته عشرة أعوام وستة أشهر وأربعة أيام. فهنيئاً للفاروق هذه الخاتمة، التي تمناها ودعا الله أن يحققها له، فلما قيل له: تتمنى الشهادة وفي مدينة رسول الله ﷺ!!؟ استبعاداً لحدوث ذلك، حيث إن المدينة أصبحت دار إسلام، ولا جهاد للأعداء فيها.

---

(١) أي أن السلاح في هذا الخنجر من الناحيتين ويمسك من الوسط.

(٢) تابع مع أستاذك قصة القبض على هذا المجرم وقتله العديد من الصحابة.

قال الفاروق: «نعم ويسوقها الله سوقاً إن شاء» أو كما قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

فكان ذلك أيضاً مصداقاً لما أخبره به ﷺ في قوله: «اثبت أحد فما عليك إلا نبي أو صديق أو شهيدان»[1] فالصديق أبو بكر والشهيدان عمر وعثمان رضى الله عنهم وصدق رسول الله ﷺ.

ولا شك أن مقتل عمر كان نتيجة مؤامرة دنيئة قام بها الفرس المجوس إذ كانت قلوبهم تمتلىء بالحقد على الرجل الذي فتح بلادهم، وأزال سلطانهم، كما اشترك فيها النصارى واليهود. وهكذا أراد الله، ولكل أجل كتاب.. وكانت تلك الحادثة بداية سلسلة من مؤامراتهم الخبيثة التي أرادوا بها هزيمة الإسلام بالغدر والحيلة بعد أن هزموا شر هزيمة في ميادين الحرب والنزال ولكن الله حفظ دينه وأعلى كلمته رغم كل ما مرت به الأمة من مصائب ونكبات ولله الحمد والمنة.

---

(١) رواه البخاري.

أسئلة وتطبيقات

س ١ : (أ) متى أسلم الفاروق رضي الله عنه وما قصة إسلامه؟

(ب) كيف كانت هجرة عمر رضي الله عنه إلى المدينة؟

س ٢ : اشتهر عمر رضي الله عنه بموافقة الوحي له في بعض ما يراه. أذكر بعض المواقف التي وافق الوحي فيها عمر، وعلى أي شيء يدل هذا؟

س ٣ : (أ) اذكر نص كتاب الصديق بتولية عمر الخلافة رضى الله عنهما، وهل يعني هذا أن تولية عمر كانت بغير مشورة من المسلمين؟ وكيف؟

(ب) وعلى أي شيء يدل اختيار الصديق لعمر؟

س ٤ : «يا سعد لا يغرنك من الله أن قيل خال رسول الله صلى الله عليه وسلم..».

١ - من القائل ؟ وما المناسبة؟ ومن هو سعد هذا؟

٢ - اكمل هذه الوصية إلى قوله : .. يلزمه فالزمه » .

س ٥ : يمكننا أن نستخلص أهم أهداف الجهاد وأن ندرك أبعاد الواجب المنوط بالمسلمين، وذلك من الحوار الذي جرى بين ربعي بن عامر رضي الله عنه وبين رستم قائد الفرس.

تحدث عن ذلك من خلال:

١ - إيراد نص الحوار بينهما.

٢ - أهم القضايا التي تناولها هذا الحوار.

٣ - ما نستفيده من موقف ربعي رضي الله عنه .

س ٦ : لبيت المقدس - القدس - أهمية خاصة عند المسلمين. تحدث عن ذلك وما هو واجبنا نحوها.

س ٧ : (أ) أذكر أهم نتائج معركة نهاوند، مبيناً بعضًا من الدروس والعبر التي يمكن أن نستفيدها من هذه المعركة.

(ب) كان للفتح الإسلامي أثر واضح في البلاد المفتوحة، تحدث عن ذلك من خلال بيان أثره على مصر وأهلها.

عثمان بن عفان رضي الله عنه
٢٣ – ٣٥ هـ

حياته قبل الخلافة :

نسبه ونشأته رضي الله عنه :

هو ذو النورين، وصاحب الهجرتين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة(١) وأحد الستة الذين مات رسول الله ﷺ وهو عنهم راض وأحد حفظة كتاب الله. عثمان بن عفان بن أبي العاص بن أمية بن عبد شمس القرشي.

ولد بالطائف بعد ولادة الرسول ﷺ بخمس سنين، ونشأ في سعة من العيش، إذْ كان أبوه صاحب تجارة كبيرة. وكانت قوافله تغدو وتروح من بلاد العرب إلى بلاد الشام، ولما مات أبوه ترك له ثروة ضخمة استثمرها عثمان رضي الله عنه في التجارة فنمت وازدادت على توالي الأزمان وكانت عُدَّة عثمان رضي الله عنه في الجهاد والمُعِين له على عمل الخير.

إسلامه رضي الله عنه :

روى المؤرخون عن سبب إسلامه أنه كان مع أبي بكر الصديق رضي الله عنه في مجلس. فأخذ أبو بكر يشرح له تعاليم الإسلام وآدابه ويقول له: يا عثمان وَيْحَك، إنك لرجل حازم عاقل ما يخفي عليك الحق من الباطل، ما هذه الأوثان؟ أليست حجارة لا تسمع ولا تبصر ولا تنفع ولا تضر؟ قال: بلى، والله إنها لكذلك، فدعاه أبو بكر للقاء النبي ﷺ فلما لقيه عرض عليه الإسلام فأسلم. وكان – بذلك – من السابقين الأولين رضي الله عنه وأرضاه.

ولما أسلم عثمان أحبَّه الرسول ﷺ. وتوثقت العلاقات بينهما بزواجه من السيدة رقية بنت الرسول الكريم.. ولما ماتت تأثر لوفاتها واشتد حزنه عليها. ولم يُرَ بعد إلا مهموماً، ورآه النبي ﷺ فسأله: مالي أراك مهموماً؟ فقال: وهل دخل على أحد ما دخل عليَّ يا رسول الله

---

(١) العشرة المبشرون بالجنة هم: الأربعة الراشدون، وسعد بن أبي وقاص وسعيد بن زيد وأبو عبيدة عامر بن الجراح وعبد الرحمن بن عوف وطلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام رضي الله عنهم أجمعين .

لقد انقطع ظهري وانقطع الصهر بيني وبينك، فطيَّب النبي ﷺ خاطره وزوَّجه أختها أم كلثوم.. وبقيت معه إلى أن توفيت فقال له الرسول ﷺ: لو كانت لنا ثالثة لزوجناك. ومن أجل ذلك سُمَّى ذا النورين.

وقد هاجر رضي الله عنه إلى الحبشة مرتين غير مُهتمٍ بما تتعرض له تجارته من كساد فسمي ـ لذلك ـ ذا الهجرتين ، ثم هاجر إلى المدينة بعد هجرة الرسول ﷺ وعدَّ من المشاركين في غزوة بدر لأنه تخلف عنها بإذن الرسول ﷺ لتمريض زوجه رقية رضي الله عنها، فضرب له رسول الله ﷺ بسهم، كما أن بيعته في بيعة الرضوان خير بيعة إذ بايع عنه رسول الله ﷺ فضرب بيمينه على شماله وقال «هذه لعثمان» وفضائله كثيرة رضي الله عنه.

أثره في نصرة الإسلام :

لقد ضرب عثمان رضي الله عنه أروع الأمثال في نصرة الإسلام وإعلاء كلمته، فكان أجود المسلمين حينما يجدُّ الجد ويدعو داعي الجهاد.

ومن أجلِّ ما روي عنه في هذا السبيل موقفه في غزوة العُسْرة – غزوة تبوك – فحينما اشتد الحرج والضيق بالمسلمين. نهض عثمان رضي الله عنه مبادراً إلى بذل ماله وقدّم للمجاهدين ما يحتاجون له من خيل وإبل وأطعمة وأموال حتى قيل إنه تبرع بتسعمائة بعير وخمسين فرساً. وحمل ألف دينار في كمِّه ونثرها في حجر الرسول ﷺ فقال ﷺ: (ما ضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم) ومن مآثره رضي الله عنه أنه اشترى بئر رومة بعشرين ألف درهم، وكانت ليهودي يبيع ماءها للمسلمين، ولم يكن بالمدينة ماء عذب غيرها فاشتراها عثمان وجعلها للمسلمين.

ومن ذلك أن الناس في خلافة الصديق رضي الله عنه أصابهم قحط وجدب، فلما اشتد بهم الأمر جاءوا إلى أبي بكر رضي الله عنه فقالوا: «يا خليفة رسول الله ﷺ إن السماء لم تمطر والأرض لم تنبت وقد توقع الناس الهلاك فما نصنع؟

قال : انصرفوا واصبروا فإني أرجو ألا تُمْسُوا حتى يفرج الله عنكم. فلما كان آخر النهار ورد الخبر بأن عيراً لعثمان جاءت من الشام وتُصبِّح المدينة، فلما جاءت خرج الناس يتلقونها، فإذا هي ألف بعير موسوقة بُرَاً وزيتاً وزبيباً، فأناخت بباب عثمان رضي الله عنه، فجاءه التجار فقالوا: بِعْنَا من هذا الذي وصل إليك، فإنك تعلم ضرورة الناس.

قال عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حباً وكرامة كم تربحوني على شرائي.

قالوا : الدرهم درهمين.

قال : أعطيت زيادة على هذا.

قالوا : أربعة.

قال : أعطيت زيادة على هذا.

قالوا : خمسة.

قال : أعطيت أكثر من هذا.

قالوا : يا أبا عمرو، ما بقي في المدينة تجار غيرنا، وما سبقنا إليك أحد فمن ذا الذي أعطاك؟

قال : فإن الله أعطاني بكل درهم عشرة. أعندكم زيادة؟

قالوا : لا.

قال : فإني أشهد الله أني جعلت ما حملت هذه العير صدقة لله في المساكين وفقراء المسلمين.

هذا موقف من مواقف عثمان وياله من موقف عظيم يكشف لنا عظمة هؤلاء الذين نشروا الخير في ربوع كثيرة وأصقاع فسيحة.

وإن تعجب فهل تعجب لموقف عثمان هذا أم تعجب لموقف هؤلاء التجار الذين سارعوا إلى عثمان لكي يشتروا منه البضاعة ليسدوا بها حاجة الناس وليقضوا بها على عوزهم.

لقد سعى هؤلاء التجار لكي يحلوا مشكلة من أخطر المشكلات الاجتماعية انطلاقاً من مبدأ الإسلام في الأمر بالصدقات والانفاق والبذل في وجوه الخير.

لقد كان التاجر المسلم ينطلق من إسلامه، ويدرك أن هذا المال لا قيمة له، إن لم ينفق في وجوه الخير، وبناء المجتمع المسلم وتوفير الرخاء فيه.

لقد كانت الدنيا في أيدي هؤلاء - رضوان الله عليهم - فسخروها في طاعة الله، ولم تكن في قلوبهم، كما هي حال كثير من الناس اليوم - حتى إنهم ليمنعون الزكاة.

وبعد فهذه بعض مواقف عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في نصرة الإسلام.. وأياديه البيضاء في سبيل إعلاء الحق ونصرة الدين.

البيعة لعثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بالخلافة :

لما طُعن عمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بيد أبي لؤلؤة المجوسي طلب بعض المسلمين منه أن يعهد بالخلافة لمن يرتضيه ويختاره. فتردد عمر. ثم قال: إن استخلف فقد استخلف من هو خير منى (يريد أبا بكر) وإن أترك فقد ترك من هو خير مني (يريد رسول الله ﷺ).

ثم ذكر عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ستة رجال كانوا يتميزون بحب الرسول ﷺ لهم ورضاه عنهم أكثر من غيرهم وهم: علي بن أبي طالب، وعثمان بن عفان، وعبد الرحمن بن عوف، وسعد بن أبي وقاص، والزبير بن العوام، وطلحة بن عبيد الله. رضي الله عنهم أجمعين، وطلب إليهم أن يجتمعوا بعد وفاته ليختاروا واحداً منهم..

وقد اجتمع هؤلاء النفر بعد وفاة عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وانتهى الرأي أخيراً إلى اختيار عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ. فبايعه المسلمون وتم إجماعهم على بيعته.

أهم أعمال عثمان بن عفان رضي الله عنه :

جمع المسلمين في قراءة القرآن على حرف قريش :

من أعظم الأعمال التي امتاز بها تاريخ عثمان رضي الله عنه تدوين مصحف يقرؤه المسلمون في جميع الأمصار الإسلامية، ويرجع السبب في ذلك أن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه سمع اختلافاً في قراءة القرآن يوشك أن يؤدى إلى أخطر فتنة في كتاب الله عز وجل. فأهل الشام يقرءون قراءة ويتعصبون لها. والعراقيون يقرءون قراءة ويتعصبون لها[١]. ففزع حذيفة لما رأى وسمع. وكان - حينئذ - في إحدى الغزوات. فلما رجع إلى المدينة أسرع إلى الخليفة عثمان رضي الله عنه. وأشار عليه بتدوين مصحف يقرؤه جميع المسلمين. فجمع عثمان كبار الصحابة ومنهم زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وأخبرهم بما أشار به حذيفة فوافقوه.

وأرسل عثمان إلى السيدة حفصة زوج الرسول ﷺ وابنة عمر بن الخطاب رضي الله عنه يطلب منها الصحف التي كتبت في عهد أبي بكر وأودعت عندها فسارعت بإرسالها إليه. فعرضها على ما يحفظه وعلى سائر الحفاظ من الصحابة. ثم أمر بنسخها في المصاحف ومحو كل ما عداها[٢]. وأرسل نسخاً من المصحف الجديد للأمصار الإسلامية للقراءة فيه دون غيره.

ولقد أحسن عثمان صنعاً بهذا العمل الجليل. فلقد جمع القرآن الكريم ووحّد قراءته حتى لا يتطرق إليه تحريف أو تغيير . وحتى يتحقق قول الله سبحانه

﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴾ [الحجر : ٩].

---

(١) وسبب ذلك أن الله تعالى: أنزل بعض معاني القرآن الكريم بعدة ألفاظ قد تصل إلى سبعة أحياناً تسهيلاً لبعض القبائل التي لا تعرف لفظ قريش، قبل انتشار لغة قريش وشيوعها وهذا ما يعرف بالأحرف السبعة في أرجح أقوال أهل العلم.

(٢) أي: محو بقية الألفاظ المرادفة الموافقة لبعض لهجات العرب وإبقاء لفظ قريش فقط لأنه عرف واشتهر ولم تبق حاجة للأخذ برخصة الأحرف السبعة.

امتداد الفتوح في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

تابع عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ سلسلة الفتوح التي قام بها المسلمون في عهد الخليفتين أبي بكر وعمر رضي الله عنهما في إفريقية وآسيا. فظل الإيمان القوي الذي خط مسيرته في عهد الخليفتين العظيمين أبي بكر وعمر واقعاً بقوته لا يهن ولا يضعف حتى رأى الفرس والروم بأعينهم في عهد عثمان أشلاء دولتيهما تتمزق وأصبحت راية الإسلام ترفرف على شمال إفريقية ومنطقة كبيرة في غربي آسية بل لقد بسط المسلمون سلطانهم على جزيرة قبرص في البحر المتوسط، حيث غزاها المسلمون بقيادة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما وكان ذلك أول جهاد في البحر، وفي ذلك مصداق ما أخبر به ﷺ كما ورد في الصحيح عن أم حرام زوجة عبادة بن الصامت رضي الله عنهما (وسيأتي في ترجمة معاوية رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إن شاء الله)، ومن أشهر الفتوحات التي تمت في عهد عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: فتح أرمينيا، وخراسان، وقبرص، وطرابلس وتونس في شمال إفريقية. ومن أشهر المعارك معركة (ذات الصواري) بين المسلمين والروم بقيادة عبد الله بن أبي السرح والتي انتصر فيها المسلمون على الروم أروع انتصار.

ملامح المجتمع الإسلامي أيام عثمان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ :

كان عهده رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عهد خير ورفاه وأرزاق لا تعد ولا تحصى فقد أخذت الأموال ترد على خزينة الدولة الإسلامية من الفتوح وغيرها، وانتشر الأمن والاطمئنان فللمسلم أن يسير ما شاء في دولة الإسلام الممتدة من وسط آسيا شرقاً إلى تونس غرباً يسير بحرية وأمان دون أن تعترضه مراكز أو حدود.

روى البخاري بسنده عن الحسن البصري رحمه الله قال: (أدركت عثمان - على ما نقموا عليه - وقلّ ما يأتي على الناس يوم إلا وهم يقتسمون فيه خيراً، يقال لهم: يا معشر المسلمين اغدوا على أعطياتكم فيأخذونها وافرة ثم يقال لهم: اغدوا على أرزاقكم فيأخذونها وافرة، ثم يقال لهم: اغدوا على السمن والعسل، والأعطيات جارية والأرزاق دارّة والعدو مُتَّقِي وذات البين حسن والخير كثير وما من مؤمن يخاف مؤمناً ومن لقيه فهو أخوه).

أما ما افتراه المفترون وروجه الجهلاء والمغرضون من ضعف عثمان رضي الله عنه لكبر سنه أو محاباته لأقاربه وتَوْلِيَةِ غير الأكفاء منهم. أو ما افتروه وكذبوه من ترف الصحابة رضي الله عنهم وبنائهم القصور وركونهم إلى الدنيا مما أحقد الفقراء عليهم، وأمثال هذا الكلام الباطل الذي يدل على مرض في النفوس وحقد في القلوب على صحابة رسول الله ﷺ فما هو إلا خيال في أذهان مريضة من عدوى شبهات المستشرقين: النصارى واليهود، والرافضة الحاقدين على صحابة رسولنا ﷺ(١).

---

(١) ومن أخطر الكتاب الحاقدين على الإسلام كاتب نصراني يسمى جُرجي زيدان، أَلَّف سلسلة من الروايات بأسلوب قصصي جذاب وحشاها بالأكاذيب والإفتراءات على تاريخ الإسلام وشخصياته وسماها (روايات تاريخ الإسلام)..

الفتنة ودور عبد الله بن سبأ اليهودي :

موجز عن الفتنة :

المقصود بالفتنة : هو ما قام به أعداء الإسلام من إثارة الفوضى والاضطراب في أواخر خلافة أمير المؤمنين عثمان رضي الله عنه والتي أدت إلى استشهاده رحمه الله وما ترتب على ذلك من خلاف بين علي ومعاوية ومن معهما من الصحابة رضي الله عنهم أجمعين. وهو الخلاف الذي استغله هؤلاء الأعداء بمكرهم وخبثهم حتى أدى إلى الحرب والقتال بسبب اجتهاد مخلص من الطرفين يبتغون به وجه الله تعالى.

فكان هؤلاء الأعداء من اليهود والنصارى والمجوس، والمنافقين قد دبروا مقتل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه لتكون فتنة وفوضى وقتال بين المسلمين ولكن الله أحبط خطتهم وكيدهم.

وقد قدمنا في التمهيد أن واجبنا نحو صحابة رسول الله ﷺ هو الحب والتقدير وإحسان الظن بهم وبأعمالهم.

موقف أهل السنة والجماعة من الفتنة :

كره علماء أهل السنة والجماعة الحديث عن الفتنة ولم يروا في ذلك فائدة بل يجب إبراز حسناتهم الكثيرة التي لا تعد والدعاء لهم، قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله (من مذهب أهل السنة والجماعة الامساك عما شجر بين الصحابة فإنه قد ثبتت فضائلهم ووجبت موالاتهم ومحبتهم).

ولكننا وجدنا أن من المصلحة الآن أن نتكلم عنها بإيجاز ونظهر صورتها الحقيقة حتى لا يتأثر الطالب بما ينشره الرافضة (الشيعة) والمستشرقون النصارى واليهود من أكاذيب حول ذلك وما يتردد في كتب التاريخ القديمة والحديثة من روايات ضعيفة أو مكذوبة فنقول وبالله التوفيق.

خطوات التمهيد للفتنة :

كانت خطة الحاقدين على الإسلام أن يتظاهر الرجل الذي اختاروه للتخريب بأنه أسلم وهو (ابن السوداء) عبد الله بن سبأ اليهودي اليمنى الذي كان واسع الدهاء والحيلة والاطلاع على أحوال المسلمين ثم يسعى بينهم وهم مطمئنون له بما يفسد حالهم وينشر الفتن فيهم. فماذا عمل؟ أخذ يتنقل في البلدان الإسلامية يبحث عن المنافقين والمغفلين ليتخذهم أعواناً له وينفذ بهم خططه فوجد الكثير منهم وركز عمله في العراق ومصر بعد أن فشل في الشام ليقظة معاوية ومن معه من الصحابة رضي الله عنهم ومتابعتهم لنشاطه الهدام حتى أنهم سجنوه ثم اطلقوه فهرب.

وأخذ هذا الحاقد وأعوانه ينشرون الأكاذيب عن عثمان رضي الله عنه وولاته وأنهم أساؤوا وظلموا وأكلوا الأموال. وفي الخفاء كان ينشر في عقول اتباعه مبادىء ضالة كافرة أصبحت - فيما بعد - أصول عقائد الرافضة (الشيعة) مثل قوله برجوع محمد ﷺ، ووصيته لعلي بالخلافة، وسب الصحابة رضي الله عنهم.

تعامل الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه مع الفتنة :

انتشرت هذه الأكاذيب حتى وصلت إلى كل الأقطار ومنها المدينة فلما سمع بها عثمان رضي الله عنه لم يتركها وقام بما يلي:

١ - أرسل مجموعة من الصحابة رضي الله عنهم للتحقيق مع الولاة. فرجعوا إليه يثنون عليهم ويكذِّبون تلك الإشاعات الكاذبة.

٢ - أعلن في كل الأقطار أن من له شكاية عليه أو على ولاته فليأت في موسم الحج وليأخذ حقه منا.

٣ - استدعى جميع ولاته في الموسم ليحاسبهم أمام الناس ولكن لم يأت أحد يشتكي أو يتظلم.

٤ - استشار العقلاء في شأن هؤلاء المفسدين فأشاروا عليه بالحزم في أمرهم وقطع دابر فتنتهم فأبى رضي الله عنه خوفاً من أن يظلم أحداً أو يفتح باب فتنة.

وغادر الولاة إلى بلدانهم إلا معاوية رضي الله عنه الذي عرض على عثمان رضي الله عنه أن يذهب معه إلى الشام لتكون مقر حكمه فهي أكثر أمناً وولاء للخليفة أو أن يرسل إليه جيشاً يحميه فأبى عثمان رضي الله عنه أن يغادر مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم أو أن يقيم فيها جند من غير أهلها. ثم نزل في المدينة جمع كبير من أهل البصرة والكوفة بعد الموسم بنية سيئة ولكن عثمان والصحابة رضي الله عنهم أدركوا سوء مقاصدهم فأحاطوا بهم وحاصروهم في المسجد، وقام عثمان رضي الله عنه وخطب فيهم وناقش كل شبهاتهم وأكاذيبهم ورد عليها كلها فلم تبقَ لهم حجة أبداً، ثم عرض عليه الصحابة رضي الله عنهم قتل قادتهم حفظاً لأمن الأمة فرفض رضي الله عنه رفضاً باتاً خوفاً من أن يوقع بأحد ظلماً ويكون مسؤولاً عنه أمام الله.

كما أن عثمان رضي الله عنه عندما واجه هذه الفتنة بالصبر عليها إنما كان يمتثل أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصبر عندما بشره بالجنة على بلوى تصيبه. قال عثمان رضي الله عنه: «إن رسول الله صلى الله عليه وسلم عهد إلي عهداً وأنا صابر نفسي عليه».

استشهاد عثمان بن عفان رضي الله عنه:

انصرف المجرمون بعد فشل خطتهم ثم تواعدوا سراً أن يجتمعوا في المدينة في العام القادم عام (٣٥هـ) في شوال بدعوى الحج لينفذوا جريمتهم، وكتبوا بذلك إلى أهل مصر. ولما حضروا في العام التالي وجدوا الصحابة رضي الله عنهم وذلك بعرض الخلافة عليهم فنهروهم وطردوهم وبشروهم بالنار، فتظاهر المجرمون بالعودة إلى بلادهم ثم عادوا ليلاً والصحابة آمنون واحتلوا المدينة وشددوا القبضة عليها وحاصروا دار عثمان رضي الله عنه، فأرسل علي الحسن والحسين، وأرسل الزبير ابنه عبد الله وأرسل طلحة ابنه وبعث عدد من الصحابة أبناءهم يمنعون الناس من دخول دار عثمان وجرح عدد منهم ومنهم الحسن رضي الله عنه.

وقد نهى عثمان رضي الله عنه الصحابة رضي الله عنهم عن مقاتلتهم خوفاً من فناء الصحابة - في وقت كان الناس أحوج ما يكونون فيه إليهم ليتعلموا على يديهم الإسلام ويعرفوا سنة الرسول ﷺ- وضياع أمر المسلمين وسفك الدماء وانتشار الفتنة، ورغب أن يفدى المسلمين بنفسه رضي الله عنه وأرضاه.

وحاول المجرمون أن يرغموا عثمان رضي الله عنه على خلع نفسه عن الخلافة فأبى بشدة وتذكر قوله ﷺ (يا عثمان إن الله عسى أن يلبسك قميصاً فإذا أرادك المنافقون خلعه فلا تخلعه حتى تلقاني- ثلاثاً). حديث حسن، ومنع المقاومة لأنه لا يريد أن يلقى الله بدم مسلم.

أسرع المجرمون بتنفيذ خطتهم واقتحموا دار عثمان رضي الله عنه حيث تسوروا عليه السطح ولم يشعر بذلك من بالباب ممن تولوا حراسة عثمان رضي الله عنه. وهنا ظهر الحقد الكامن في نفوس هؤلاء السبئيين الناقمين على صحابة رسول الله ﷺ فتقدم اثنان منهم وطعن أحدهما عثمان رضي الله عنه وقتله ونهبوا البيت، وكان استشهاده رحمه الله قبيل غروب الشمس بقليل صائماً صابراً محتسباً ومضى إلى ربه نموذجاً خالداً في سجل التاريخ وهو على مشارف التسعين من عمره وكان ذلك في يوم الجمعة الثامن عشر من ذي الحجة سنة (٣٥) من الهجرة وكانت خلافته رضي الله عنه حوالي اثني عشر عاماً رضي الله عنه ورحمه وجمعنا به في الفردوس آمين.

أسئلة وتطبيقات

س ١ : تحدث عن:

أ - نسب عثمان رضي الله عنه ونشأته.

ب - أثره في نصرة الإسلام.

جـ - إسلامه رضي الله عنه .

س ٢ : (أ) وضح كيف تمت البيعة بالخلافة لعثمان رضي الله عنه .

(ب) يلقب عثمان رضي الله عنه «بذي النورين» ما سبب هذا اللقب؟

(جـ) ما الذي تعرفه عن جمع القرآن في عهد عثمان رضي الله عنه وما الفرق بينه وبين جمعه في عهد الصديق رضي الله عنه .

س ٣ : (أ) اذكر أبرز الفتوحات التي تمت في عهد عثمان رضي الله عنه .

(ب) نَعِمَ المجتمع الإسلامي في خلافة عثمان رضي الله عنه بالأمن والرفاه والخير الوافر مما أثار ضغينة أعداء الإسلام وحفيظتهم، فعملوا على الكيد لهذا المجتمع، تحدث عن ذلك موضحاً:

أ - كيف كان المسلمون يعيشون في أول خلافة عثمان رضي الله عنه .

ب - موقف أعداء الإسلام من ذلك.

س ٤ : تحدث عن الفتنة التي أثارها أعداء الإسلام في عهد عثمان رضي الله عنه من خلال ما يلي:

١ - ما المقصود بالفتنة؟

٢ - أهم أحداثها.

٣ - كيف واجهها عثمان رضي الله عنه؟

٤ - موقف أهل السنة والجماعة بعد ذلك منها.

٥ - دور اليهود - لعنهم الله - في إشعالها.

٦ - لماذا نهى عثمان رضي الله عنه الصحابة عن مقاتلة المشاركين فيها.

علي بن أبي طالب رضي الله عنه
٣٥ هـ - ٤٠ هـ

حياته قبل الخلافة :

نسبه ،ونشأته ، وإسلامه :

هو عليٌّ بن أبي طالب بن عبد المطلب بن هاشم بن عبد مناف القرشي ابن عم النبي ﷺ وزوج ابنته فاطمة الزهراء ورابع الخلفاء الراشدين، وأحد العشرة المبشرين بالجنة.

وُلد قبل البعثة النبوية بعشرة أعوام، ولما كان أبوه (أبو طالب) قليل المال كثير العيال فقد اراد النبي ﷺ أن يخفف عن عمه شيئاً من الأعباء التي لحقته بسبب كثرة أولاده فطلب إلى عمه أن يعطيه علياً ليتربى في بيته. وأجابه أبو طالب إلى ذلك، فنشأ عليٌّ منذ صغره تحت سمع النبي وبصره، يستضيء بهديه ويقبس من خلقه ويتأدب بأدبه.

وحينما بُعث النبي ﷺ كان علِّي رضي الله عنه ما يزال صبياً فسرعان ما أسلم، وكان ـ بذلك ـ أول من أسلم من الصبيان، وكان شديد الحب لرسول الله ﷺوالإعجاب به حتى لقد بلغ به الأمر أنه حينما دعا الرسول ﷺ عشيرته الأقربين إلى الإسلام وقال لهم: أيكم يؤازرني وينصرني؟ وسكتوا جميعا ولم يجيبوه قام علي - وهو الصبي الصغير - وصرخ في وجه أعمامه وسائر أقربائه منكراً عليهم سكوتهم عن نصرة النبي ﷺ ومؤازرته. وقال: أنا يا رسول الله، أنا حربٌ على من حاربت.

صُحبته للنبي ﷺ وبلاؤه في الإسلام :

زوجه النبي ﷺ من ابنته فاطمة، وكان له في صحبته للنبي ﷺ جهاد مشكور، ومواقف خالدة. ففي ليلة الهجرة النبوية نام علِّي رضي الله عنه في الفراش الذي تعود النبي ﷺ أن ينام فيه وتغطى ببردته ليضلل المشركين ويخدعهم حتى يستطيع الرسول ﷺ أن يفلت من خطرهم،

وينجو من شرهم ومكرهم، وقد فداه علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بهذا العمل للتضحية بنفسه فأقدم على هذه التضحية غير هياب ولا وَجِل.. وهكذا آثر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ رسول الله ﷺ على نفسه فضرب بذلك أروع الأمثال في التضحية والإخلاص والإيمان.

وفي غزوة الأحزاب برز عمرو بن عَبْدوَدَ، وكان من شجعان بني عامر وفرسانها المغاوير وأخذ ينادي: مَنْ يبارز؟ ويتحدى سائر المسلمين أن يبارزوه، فخرج له عليٌّ بن أبي طالب وهو يقول: أنَا لَهَا يا رسول الله، ووقف وجهاً لوجه أمام هذا الرجل يسخر به ويتحداَّه، فقال له عمرو: من أنت قال: أنا عليٌّ بن أبي طالب، قال: يا ابن أخي، مِنْ أبناء أعمامك مَنْ هو أسن منك[1]فإني أكره أن أريق دمك. فقال له علي لكنني ولله لا أكره أن أريق دمك. فغضب عمرو ونزل وسلَّ سيفه كأنه شعلة نار ثم أقبل نحو عليٍّ مغضباً، واستقبله عليٌّ بدرقته[2] فضربه عمرو في درقته فَقَدَّها وأثبت فيها السيف وأصاب رأسه فشجَّه فاندفع عليٌّ نحوه في شجاعة وإيمان وضربه على حبل عاتقه فسقط يتخبط في دمائه، وذهب صريع بغيه وعدوانه، وسمع رسول الله ﷺ التكبير فعرف أن علياً قد قتله ثم أقبل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ على رسول الله ﷺ ووجهه يتهلل بنصر الله له على هذا العدو الماكر ويقول:

عَبَدَ الحجارة من سفاهة رأيه وعَبـدْتُ ربَّ محمد بصواب
لا تحسَبُنَّ الله خاذل دينه ونبيه يا معشر الأحزاب

وقد شهد عليٌّ مع رسول الله ﷺ المشاهد كُلها عدا غزوة تبوك فإن الرسول ﷺ خلّفه فيها على أهل بيته، وقال له: «أنت مني بمنزلة هارون من موسى إلا أنك لست بنبيّ».

وثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال في غزوة خيبر: «لأعطين الراية غداً إلى رجل يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله يفتح الله عليه» فلما أصبح الرسول ﷺ غَدَوْا كلهم يرجو أن يعطاها حتى قال عمر: ما أحببت الإمارة إلا ذلك اليوم فقال رسول الله ﷺ: أين علي بن

---

(١) كان عليٌّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في ذلك الوقت في السابعة والعشرين من عمره.

(٢) الدرقة: الترس من جلدٍ ليس فيه خشب ولا عَقَب.

أبي طالب؟ فجاء عليٌّ فأعطاه الرسول ﷺ الراية.. ومع ذلك فلم يكن رضي الله عنه يرى أفضليته على أبي بكر وعمر بل كان يعترف بفضلهما عليه، روى الإمام ابن حجر رحمه الله في لسان الميزان (٣/٢٩٠) عنه قوله رضي الله عنه بعد أن سمع بناس يفضلونه على الشيخين: (ألا ولا يبلغني عن أحد يفضلني عليهما إلا جلدته حدَّ المفتري). وهذا هو الظن بعلي رضي الله عنه وأرضاه وليس كما يزعم الرافضة أنه كان يرى فضله على أبي بكر وعمر ولكنه سكت خوفاً وتقيّة.

البيعة لعلي رضي الله عنه بالخلافة:

لما قتل عثمان رضي الله عنه على أيدي المفتونين المستهترين جاء هؤلاء المفتونون وعرضوا الخلافة على عليٍّ فلم يقبلها. وكذلك فعل طلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص، وهكذا أجمع رجال الشورى[1] على رفضها حتى لا يكون هناك مجال لسوء الظن بهم واتهامهم بأنهم ضالعون مع المفتونين الذين كانت نهاية عثمان على أيديهم. أو مؤيدون لهم في هذا الجرم الشنيع. وكذلك رفضها عبد الله بن عمر رضى الله عنهما.

ولما يئس هؤلاء المفتونون من هؤلاء القادة الأعلام وعرفوا أنهم زاهدون جميعاً في الخلافة.. جمعوا أهل المدينة وهددوا بقتل كبار الصحابة إن لم يتم اختيار واحد من بينهم للخلافة.. فتوجه الناس إلى عليٍّ وألحوا عليه أن يقبل الخلافة إنقاذاً للمسلمين من فتنة أشد خطراً وأكبر ضرراً.. وقد قبل عليٌّ في النهاية لينقذ هذا الوضع المتدهور وتمت بيعته بأغلبية كبيرة من أهل المدينة وكبار الصحابة.

---

(١) هم الستة الذين طلب عمر قُبيل وفاته أن يُختار الخليفة من بينهم وقد، بقي منهم بعد مقتل عثمان أربعة هم: علُي وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص رضي الله عنهم، إذ أن عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه قد توفي سنة ٣٢هـ.

أهم الأحداث في عهد علي رضي الله عنه :

شاء الله تعالى أن تطول الفتنة وتتجدد أحداثها بمكر وحيل أعداء الإسلام ابتلاء وامتحاناً للمسلمين فهو سبحانه حكيم في قضائه عليم في أقداره.

موقف علي رضي الله عنه بعد توليه الخلافة :

لقد وجد علي رضي الله عنه نفسه أمام واقع صعب مؤلم فعثمان رضي الله عنه قد قتل مظلوماً، وهؤلاء القتلة المجرمون يحتلون المدينة، وأهلها يتألمون من الحزن والغضب، والشائعات تسرى وتشوه الحقائق، والناس في حيرة من هذه الأحداث الغريبة. فقام بما يلى:

١ - سارع بعزل الأمراء الذين كانوا على البلدان في عهد عثمان رضي الله عنه والذين سبق أن افترى عليهم المفترون وشنع بهم أهل الفتنة ثم ظهرت براءتهم. وقد عزلهم اجتهاداً منه ظناً أن ذلك سيطفىء نار الفتنة، وقد نصحه بعض الصحابة رضي الله عنهم أن لا يعزلهم لكنه أصر على اجتهاده رضي الله عنه.

٢ - أجّلَ معاقبة قتلة عثمان رضي الله عنه ريثما يستقر حكمه ويجتمع عليه المسلمون في البلاد الأخرى لأن هؤلاء المجرمين كانوا أقوياء كثيرين لا يمكن التغلب عليهم بسهولة، كما كانوا يسيطرون على المدينة، إذ أنهم لا يزالون فيها، ويتدخلون في كل قضية.

موقف بعض الصحابة رضي الله عنهم :

استجاب الأمراء لهذا العزل سوى أمير الشام معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنه الذي أبى هذا العزل مع اعترافه بفضل علي رضي الله عنه وتسليمه برفعة منزلته وقدره إلا أنه لم تتضح له الظروف الشرعية لبيعته وتصوَّر أن ذلك تم تحت سيطرة المجرمين قتلة عثمان رضي الله عنه، لبعده عن المدينة وللأخبار التي تصل إليه، وقد لعبت بها يد الدَسّ والتحريف وأصر على ضرورة القصاص من المجرمين قبل البيعة، وهذه هي بداية الخلاف. وكان هذا الخلاف اجتهادياً من الصحابة رضوان الله عليهم بحسن نية ومقصد حسن ولذلك قرر أهل السنة والجماعة أن كلاً منهم

مأجوراً للمصيب أجران وللمخطىء أجر واحداً. وأن المصيب هو علي رضي الله عنه، والمخطىء من عصاه وحاربه فرحم الله الجميع ورضي عنهم.

أما الرافضة وأهل البدع والأهواء فقد استغلوا هذا الخلاف وما تفرع عنه وأخذوا يتهمون صحابة رسول الله ﷺ ويسبونهم فعمرو بن العاص في رأيهم ـ الباطل ـ مكار مخادع، وأبو موسى الأشعري مغفل ساذج، ومعاوية طامع في الحكم والسلطان، إلى غير ذلك مما في كتبهم ورواياتهم المدسوسة في كتب التاريخ، رضي الله عن الصحابة ونزههم عن أقوال المبطلين الحاقدين.

وقد نتج عن استغلال الحاقدين لهذا الخلاف حربان مؤسفتان بين المسلمين دفاعاً عما يعتقده كل فريق من الحق والصواب. فكانت الأولى:

معركة الجمل :

وسببها أن عائشة رضي الله عنها ومعها طلحة والزبير رضي الله عنهما ساروا إلى البصرة ومعهم كثير من الناس بنية تأليف القلوب وتهدئة الوضع المضطرب والإصلاح بين الناس حين اختلفوا بعد استخلاف علي رضي الله عنه بدليل استشهاد عائشة رضي الله عنها بقوله تعالى :

﴿ ۞ لَّا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِّن نَّجْوَىٰهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلَٰحٍۭ بَيْنَ ٱلنَّاسِ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا ﴾ [النساء : ١١٤].

ولكن السبئيين قاتلهم الله أوهموا والي البصرة الذي عينه عليٌّ رضي الله عنه أنهم قادمون للقتال فاستعد لذلك وخرج فاستغل السبئيون ذلك وانشبوا القتال بينهم بحيلة ماكرة، ولكن كثيراً من هؤلاء السبئيين قتلوا في هذا القتال وعاد مكرهم وبالاً عليهم ولله الحمد.

ووصل علي رضي الله عنه بجيشه إلى ذي قار[١] بعد أن سمع بتلك المعركة وكان كارهاً للقتال ودار الحوار والتفاهم بينه وبين عائشة رضي الله عنها ومن معها وباتوا بخير ليلة ولكن أهل الفتنة

---

(١) ذي قار مكان بين الكوفة وواسط .

خافوا على أنفسهم من اتفاق الطرفين فقاموا مع الفجر وانقسموا قسمين وهجم كل قسم على معسكر فقام الناس إلى سلاحهم وهم يظنون الغدر واشتبك المسلمون في قتال مرير أبدى فيه السبئيون كل حقدهم على المسلمين وأخذوا يشعلون نار الحرب كلما بدأت تخمد، وحاول علي وعائشة رضي الله عنهما أن يوقفا الحرب، فأرسل علي منادياً ألا كفُّوا ألا كفُّوا فلم يسمع أحد، وأرسلت عائشة كعب بن سور ليرفع مصحفاً ويدعوهم إليه فرآه ابن سبأ - لعنه الله - فقتله.

واستمروا يشعلون الحرب ويحولون دون إيقافها، وكثر القتل في الفريقين، ولما رأى علي رضي الله عنه كثرة القتلى حول الجمل عرف أن الناس لا تسلمه (أي الجمل) وفيهم أحد حي فنادى في أصحابه: اعقروا الجمل. فجاء رجل من خلفه فعقره فسقط وسقط الهودج فتفرق الناس وانتهت المعركة.

وجهز علي رضي الله عنه أم المؤمنين عائشة بكل ما تحتاج من زاد ومال ومتاع ولما أرادت الرحيل إلى مكة جهزها أيضاً وودعها بنفسه وسار بجانب الهودج ماشياً حتى خارج المدينة وسيّر أولاده معها مسيرة يوم وتابع أخوها محمد بن أبي بكر المسير معها إلى مكة ثم المدينة وكان ذلك في غرة رجب سنة ٣٦هـ وأقامت في مكة رضي الله عنها حتى موسم الحج وبعده مضت إلى المدينة وبقيت فيها حتى توفيت رحمها الله ورضى عنها سنة ٥٨هـ.

كما قتل طلحة رضي الله عنه في هذه المعركة. أما الزبير فانصرف تاركا المعركة بعد ما تبين له خطؤه رضي الله عنه ولكن شريراً قتله في الطريق رحم الله الزبير ورضي عنه. وسار قاتله - ويدعى ابن جرموز - إلى علي رضي الله عنه فبشره علي بالنار.

معركة صفين:

هي المعركة الثانية نتيجة لهذا الخلاف الذي وقع واستغله الحاقدون وسبق أن بينا أن معاوية رضي الله عنه ومن معه من الصحابة في الشام لم يبايعوا علياً رضي الله عنه بسبب ما أحاط بيعته من ظروف الفتنة وكون المدينة تحت سلطة المجرمين وسيطرتهم. وغضب معاوية ،من معه - رضي الله عنهم - من عدم القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه. أما علي رضي الله عنه فكان غضباناً من عصيانهم ولي الأمر وانفرادهم بالمخالفة، ولا يريد هو ومن معه من الصحابة رضوان الله عليهم أن تكون هناك سلطتان في الدولة الإسلامية فعزم على إنهاء هذا الوضع بالحوار والمفاهمة فإن لم ينفع ذلك فالحرب.

وكان كل فريق مقتنعاً بحجته كل الاقتناع ولم يكن هناك طمع في سلطة أو مكر وخداع كما روج الرافضة (الشيعة) وكذبوا على صحابة رسول الله ﷺ. فعلي رضي الله عنه يجمع الجيوش لدرء الفتنة ولعل الباغين يرجعون إلى جادة الصواب، ومعاوية ومن معه رضي الله عنهم يعبئون القوى لنصرة الحق والقصاص من قتلة الخليفة الشهيد من السفاكين المارقين ومعظمهم مندسون في جيش علي رضي الله عنه. وهكذا يمضي كلا الفريقين إلى القتال.

أحداث المعركة :

سار علي رضي الله عنه في ذي الحجة سنة ٣٦ هـ ومعه حوالي تسعين ألفاً، والتقى بجيش معاوية رضي الله عنه في سهل بين حلب والرقة يسمى (صفين) ومعه جيش يقارب جيش علي رضي الله عنه.

كان الفريقان قد تكاتبا مدة ستة أشهر قبل ذلك منذ دخل علي رضي الله عنه الكوفة. وهذا يدل دلالة واضحة على كرههما رضي الله عنهما للقتال ورغبتهما في الإصلاح، وكان معاوية رضي الله عنه يعترف لعلي رضي الله عنه بالفضل ويقدمه عليه وصرح بذلك كثيراً وهذا هو الظن به رضي الله عنه ولكنه يشترط القصاص من قتلة عثمان حتى يبايع علياً رضي الله عنه بالخلافة، والمسألة عند علي رضي الله عنه مسألة عقيدة ودين لا يُجوِّز وجود خليفتين في وقت واحد وبدأت الحرب لكن بآداب الإسلام: (لا تقتلوا مدبراً، ولا تجهزوا على جريح، ولا تكشفوا عورة ولا تمثلوا بقتيل فإذا وصلتم إلى رحال القوم فلا تهتكوا ستراً ولا تدخلوا داراً إلا بإذن ولا تهيجوا امرأة بأذى وإن شتمن أعراضكم وسببن أمراءكم وصلحاءكم فإنهن ضعاف القوى والأنفس).

الخطوات المهمة للمعركة :

١ - بدأت المعركة بمناوشات خلال ذي الحجة بسبب الاختلاف على الماء الذي كان تحت سيطرة جيش معاوية رضي الله عنه، ولكنه أمر جنده بقوله (خلوا بين إخواننا وبين الماء).

٢ - عادت الهدنة والمراسلات بينهم خلال شهر المحرم مطلع عام ٣٧هـ أملاً في الوصول إلى حل ولكن اقتناع كل فريق بحقه حال دون ذلك.

٣ - عاد القتال بقوة مختلفة دون أن يظهر انتصار حاسم لأي فريق حتى كاد بعضهم يفني بعضاً ومع ذلك فقد كان الكثير من أفراد الجيشين يلتقون في الليل ويتحدثون.

قصة التحكيم وحقن الدماء :

خاف المخلصون أن يفني المسلمون بعضهم بعضاً فتمنوا ما ينقذهم ويوقف القتال، وكان عمرو بن العاص رضي الله عنه يفكر ملياً بذلك حتى اهتدى إلى فكرة التحكيم ليوقف تلك المقتلة الكبرى بين المسلمين، عند ذلك أبدى الفكرة لمعاوية رضي الله عنه ففرح بها ورفع جيش الشام المصاحف فهاب جيش علي رضي الله عنهم قتالهم وتوقف القتال ولله الحمد.

عند ذلك تفاوضوا على التحكيم وانتدب عليٌّ أبا موسى الأشعري، وانتدب معاوية عمرو بن العاص رضي الله عن الجميع للنظر والحكم في هذا الأمر الخطير. فاتفق الحكمان على الاجتماع ودراسة الأمر بأذرح[1] في العام المقبل. وهكذا انتهت تلك المعركة المؤلمة بين المسلمين والتي زوَّر حولها الرافضة (الشيعة) وأعداء الإسلام كثيراً من الأكاذيب والخرافات والاتهامات رغبة في تشويه سيرة صحابة رسول الله ﷺ. ومن ذلك كذبهم على عمرو بن العاص رضي الله عنه بأنه طلب التحكيم حيلة ومكراً لينقذ معاوية رضي الله عنه وأن علياً رضي الله عنه حذرهم من هذه الحيلة وغير ذلك من الأباطيل.

أما ما حدث بين الحكمين رضي الله عنهما فقد رويت حوله روايات كثيرة أكثرها باطل والذي يثبت منها بعد تحقيق الروايات هو ما يلي:

١ - اجتمع الحكمان في الوقت المحدد.

٢ - حاول أبو موسى رضي الله عنه إقناع عمرو رضي الله عنه بخلافة عبد الله بن عمر رضي الله عنهما. فأبى عليه، وكانا مجتهدين فيما رأياه لمصلحة المسلمين.

٣ - حاول عمرو رضي الله عنه أقناع أبي موسى بخلافة معاوية رضي الله عنه فإن أبى فبولاية عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما فأبى أبو موسى ذلك كله، وكانا مجتهدين كذلك.

٤ - اتفقا على أن يكون الأمر فيمن توفي رسول الله ﷺ وهو عنهم راضٍ[2].

---

(١) أَذْرُح : اسم بلد في أطراف الشام من نواحي البلقاء ، فتحت في حياة رسول الله ﷺ سنة تسع من الهجرة.

(٢) ويشهد لهذا ما رواه الدارقطني بسنده عن الحضين بن المنذر. انظر العواصم من القواصم ص ١٧٨ - ط الخامسة - المطبعة السلفية.

هذه هي الأحداث الثابتة في موضوع التحكيم، والذي أَذْهَبَ فائدته هو عدم اتفاقهما على خليفة معين فكانت النتائج استمرار الوضع بدون اتفاق. وما عدا ذلك فروايات ضعيفة أو مكذوبة لا تقوم عليها الحقائق والنتائج وهي من دس أعداء الإسلام كزعمهم أن عمرو رضي الله عنه خدع أبا موسى وأن أحدهما سب الآخر وشتمه وغير ذلك من التشويه.

إلى أي شيء انتهى الأمر؟

تفرق الجيشان، ومضى كل إلى بلده، واقتضى هذا الوضع موقفاً جديداً من معاوية رضي الله عنه وهو أن يبدأ بمحاولات أخذ البيعة في بقية المناطق له بالإمارة لعل أمر المسلمين يجتمع عليه فاستولى على الحجاز واليمن لكن علياً رضي الله عنه استعادها منه، ثم حاول الاستيلاء على البصرة فلم يستطع وهكذا ظلت الأمور في مد وجزر واثبتت القوة فشلها في حل هذه المشكلة الكبرى. وعادت المفاوضات من جديد ولما فشلت كتب معاوية إلى علي رضي الله عنهما:

(أما إذا شئت فلك العراق ولي الشام وتكف السيف عن هذه الأمة ولا تهريق دماء المسلمين) ففعل ذلك وتراضيا عليه مرغمين، واستولى معاوية رضي الله عنه على مصر ودخلت في إمارته وولي عليها عمرو بن العاص رضي الله عنه لأنه كن محبوباً فيها وهو فاتحها.

بين علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ والخوارج[1]:

كان الخوارج هم أخطر الأعداء الذين واجههم عليٌّ في حياته.. ولم تكن خطورتهم في كثرة عددهم إذْ كانوا قلة ضئيلة وإنما كانت الخطورة في مفاجأتهم لعليٍّ بالعداء. وهم الذين خاضوا معه موقعة الجمل وموقعة صفين وكانت الخطورة - كذلك - في خروجهم عليه في وقت عصيب وهو الوقت الذي انتهت فيه موقعة صفين وظن عليٌّ وبقية جيشه أن هناك فترة سلام طويلة سينعم بها المجتمع الإسلامي.. وكان من العجيب أن الحجة التي تذرعوا بها في الخروج على عليٍّ هي قبوله للتحكيم مع أنهم كانوا موافقين على قبوله بل متحمسين له وأعجب من ذلك أنهم يكفرون علياً لأنه حكّم فيهم الرجال وهم على حدّ قولهم يريدون تحكيم كتاب الله بل كانوا يكفِّرون كل من قبل التحكيم ومن لا يرى رأيهم وكأنما كانوا ينتظرون أن المصحف وهو كلام مسطور سينطق بالحكم، ويتكلم وحده دون حاجة إلى مثل هذين الحكمين.

وليس من شأننا في هذا المجال أن نتحدث عن التفصيلات التي يرويها المؤرخون حول ظهور هؤلاء الخوارج، أو المبادىء التي نادوا بها. ولكن يهمنا أنهم بعد خروجهم على عليٍّ أشاعوا الرعب والفزع في النفوس وكان مما فعله هؤلاء الخوارج أنهم لقوا عبد الله بن خباب وهو من أصحاب رسول الله ﷺ فسألوه عن أبي بكر وعمر وعثمان وعليٍّ فأثنى عليهم. فلم يعجبهم ذلك لأنه لا يتفق مع مبادئهم، وحينئذ ذبحوه وبقروا بطن امرأته ثم قتلوا ثلاث نسوة من طيء فتألم عليٌّ من هذه الأعمال المنكرة وبعث إليهم رسولاً لينظر فيما بلغه عنهم. ولكنهم قتلوا هذا الرسول.. ولما رأى أصحاب عليٍّ ذلك قالوا: كيف نَدَعُ هؤلاء ونأمن غائلتهم في أموالنا وعيالنا.

---

(١) الخوارج هم الذين خرجوا على علي بعد قبوله للتحكيم وكانوا من شيعته الذين اشتركوا معه في موقعة الجمل وموقعة صفين. فلما قبل عليٌّ التحكيم تمردوا عليه وخرجوا عن طاعته ، وقد ورد الحديث عنهم في مواضع أخرى من هذا الكتاب.

موقعة النهروان:

كانت هذه الموقعة بين عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ في جيشه الكبير الذي يقرب من سبعين ألفاً. والخوارج في جيشهم الصغير الذي لا يزيد على أربعة آلاف.. وكان عليٌّ في موقفه من الخوارج في هذه الموقعة يمثل القيادة الحكيمة التي تنأى عن البغي والظلم، وتعمل بكل وسيلة على حقن الدماء. ذلك بأنه فتح أمامهم بابا للخلاص من الحرب قبل أن يبدأهم بالقتال فطلب إليهم أن يدفعوا إليه هؤلاء القتلة الذين قتلوا عبد الله بن خباب وبقروا بطن امرأته، وقتلوا نسوة طيء. ثم قتلوا الرسول الذي أرسله إليهم ليقتص منهم فهو يريدهم ولا يريد قتال المسلمين، ولكنهم أجابوه إجالة باغية متحدِّية فقالوا: كلُّنا قَتَلَهُمْ. وكلُّنا يستحل دماءكم ودماءهم.. ومع ذلك لم يتورط عليٌّ في حربهم ففتح لهم باب الخلاص والنجاة مرة ثانية. وأمر بأن تنصب راية. ثم قال: من تقدم إلى هذه الراية فهو آمن. ومن دخل الكوفة فهو آمن. ومن رجع إلى المدائن فهو آمن. فانصرف منهم ما يقرب من نصف العدد ووقف النصف الآخر فكان لعليٍّ معهم موقف رهيب في يوم عصيب وعرف هذا اليوم في التاريخ بيوم النهروان (وهو اسم المكان الذي وقع فيه القتال)[1] وفي هذا اليوم هزم الخوارج هزيمة قاضية لم تبق منهم باقية. وقد هلكوا جميعاً في ساعة واحدة وهذه عاقبة الحماس المقرون بالغرور المجرد عن العلم والفقه والعقل الرزين.

وفي قصة هؤلاء الخوارج آية عظيمة لرسول الله ﷺ حين قال في (ذي الخويصرة) وهو أحد المنافقين كما رواه البخاري ومسلم (إن له أصحاباً يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرميّة.. آيتهم رجل أسود إحدى عضديه مثل ثدي المرأة ومثل البضعة تدردر، ويخرجون على حين فرقة من الناس) قال أبو سعيد: فأشهد أني سمعت هذا الحديث من رسول الله ﷺ وأشهد أن علي بن أبي طالب قاتلهم وأنا معه فأمر بذلك الرجل فالتُمس فأتي به حتى نظرت إليه على نعت رسول الله ﷺ الذي نعته.

---

(١) ويقع في جنوب شرقي بغداد.

استشهاد علي بن أبي طالب رضي الله عنه :

شاء الله ـ ولا رادَّ لقضائه ـ أن يجتمع شمل المسلمين على معاوية رضي الله عنه بعد أن قتل عليٌّ رضي الله عنه على يد رجل من الخوارج يُدعى عبد الرحمن بن ملجم. (قبحه الله) وكان ذلك في شهر رمضان سنة ٤٠هـ.

وقد ذكر المؤرخون عن سبب قتله أن عبد الرحمن بن ملجم، والبُرك بن عبد الله، وعمرو بن بكر التميمي – وثلاثتهم من الخوارج – تلاقوا في موسم الحج فتذاكروا أمر الناس، وعابوا أعمال وُلاَتهم وما هم فيه من تفرق واختلاف، وذكروا مصارع إخوانهم الذين قتلوا في يوم النهروان فترحموا عليهم، وقالوا ما نصنع بالبقاء بعدهم؟ فياليتنا نقتل أئمة الضلالة ونريح منهم البلاد!! فقال ابن ملجم: أنا أكفيكم عليًا.. وقال البرك بن عبد الله: وأنا أكفيكم معاوية، وقال عمرو بن بكر: وأنا أكفيكم عمرو بن العاص.. ثم تعاهدوا ألا ينكص أحد منهم عن صاحبه الذي توجَّه إليه حتى يقتله أو يموت دونه، وأخذوا سيوفهم فَسَمُّوها وحدَّدوا موعداً لتنفيذ مؤامراتهم في الليلة السابعة عشرة من شهر رمضان.. ثم قصد كل واحد منهم إلى الجهة التي يريد، فقصد ابن ملجم إلى الكوفة، وقصد البرك ابن عبد الله إلى الشام وقصد عمرو بن بكر إلى مصر.

فلما كانت تلك الليلة المقدَّرة وخرج عليٌّ رضي الله عنه لصلاة الفجر وكان ينادي: أيها الناس، الصلاة الصلاة، قابله عبد الرحمن بن ملجم فضربه بالسيف على مقدم رأسه وقال: الحكم لله لا لك يا علي ولا لأصحابك فوقع عليٌّ رضي الله عنه بعد هذا الضربة وقال: لا يفوتنكم الرجل، فشدَّ الناس عليه فأخذوه وحُمل علي إلى بيته. ثم أدخل ابن ملجم على عليٍّ رضي الله عنه وهو مكتوف.. فلما رآه علي رضي الله عنه قال: النفس بالنفس، إن هلكتُ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيت فيه رأيي، ثم نظر إلى ابنه الحسن وقال: انظر يا حسن، إن أنا مِتُّ من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة. ولا تمثلنَّ بالرجل فإني سمعت رسول الله ﷺ يقول: إياكم والمثلة ولو بالكلب العقور.

ثم دخل جندب بن عبد الله فقال لعلي: إن فقدناك - ولا نفقدك - أنبايع الحسن؟ فقال: ما آمركم ولا أنهاكم. أنتم أبصر[1]، ثم وصَّى ولديه الحسن والحسين بتقوى الله والعمل بما في كتابه، ووصَّى ولده محمد بن الحنفية بتوقير أخويه ثم وصى ولديه الحسن والحسين بأخيهما من أبيهما محمد بن الحنفية خيرا، ثم كتب وصيته العامة وهي دستور شامل لمبادىء الإسلام وآدابه.. وقال في نهايتها: استودعكم الله وأقرأ عليكم السلام ورحمة الله.. ثم لم ينطق بعدها إلا بلا إله إلا الله حتى لقي الله، فرضي الله عنه وأرضاه.

وأما البُرك بن عبدالله فإنه قصد إلى معاوية رضي الله عنه في تلك الليلة فضربه ضربة لم تصب منه مقتلاً وقد أمر به معاوية فقتل ثم أحضر الطبيب لمعاوية وأسرع بعلاجه فبرأ من جرحه.

وأما عمرو بن بكر التميمي فإنه جلس لعمرو بن العاص رضي الله عنه في تلك الليلة. ولكنَّ عَمْراً لم يخرج للصلاة لمرض طرأ عليه وأناب عنه صاحب الشرطة خارجة بن حذافة فقتله الخارجي وهو يعتقد أنه عمرو بن العاص، فلما أخذوه وأدخلوه على عمرو عجب وقال: فمن قتلتُ إذن، قالوا: خارجة ، فقال لعمرو بن العاص والله ما ظننته غيرك، فقال له عمرو: أردت عمْراً وأراد الله خارجة فذهب مثلاً، وأمر بقتله.

وهكذا فشلت محاولة قتل معاوية وعمرو بن العاص رضي الله عنهما، وانتهى الأمر بقتل عليٍّ رضي الله عنه فتطوى تلك الصفحة المشرقة بالجهاد والتضحية، وتنتهي حياة الرجل المخلص لدينه وعقيدته تلك النهاية المؤسفة فإنا لله وإنا إليه راجعون.

---

(١) وهذا دليل واضح أن علياً رضي الله عنه لم يكن يرى أن الخلافة محصورة فيه وفي أولاده كما تدعي الرافضة (الشيعة).

أسئلة وتطبيقات

س ١ : (أ) اذكر نسب علي؟ ومتى ولد؟ وماذا تعرف عن نشأته وإسلامه؟

(ب) اذكر ما تعرفه عن جهاد علي رضي الله عنه ونصرته للنبي ﷺ ؟

(جـ) إملأ الفراغ التالي:

«شهد علي رضي الله عنه مع رسول الله ﷺ.............. ما عدا غزوة ....

وكان سبب ذلك...............» إملأ الفراغ.

س ٢ : مَنْ الخوارج ؟ وماذا تعرف عن جهاد علي رضي الله عنه لهم.

س ٣ : كان في ظهور الخوارج آية عظيمة لرسول الله ﷺ وضح كيف كان ذلك.

س ٤ : ماذا تعرف عن استشهاد علي رضي الله عنه؟